

النزعة الإنسانية في كتابات مصطفى لطفي المنفلوطي:
دراسة تحليلية

**AL Nazah AL-Insaniah Fi Kitabat Mustafa Lutfi al-Manfalooti:
Dirasah Tahliliyah**

**HUMANISM IN THE WRITINGS OF MUSTAFA LUTFI AL-
MANFALOOTI:**

AN ANALYTICAL STUDY

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

إقبال دانش

تحت إشراف

د.محمد قطب الدين



مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو

نيودلهي، الهند-110067

2015



مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

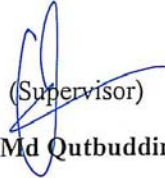
Declaration

21ST July, 2015


I declare that the material in this dissertation entitled, "*Al Nazah Al-Insaniah Fi Kitabat Mustafa Lutfi al Manfalooti: Dirasah Tahliliyah*" submitted by me is my original work and has not been previously submitted for any degree to this University or elsewhere.


Iqbal Danish

(Research scholar)


(Supervisor)

Dr. Md Qutbuddin
(CAAS/SLL&CS/JNU)


(Chairperson)

Prof. Mujeebur Rahman
(CAAS/SLL&CS/JNU)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه.... أما بعد:

فإن الإنسانية من المذاهب الأدبية الحديثة التي ظهرت في مجال الأدب العالمي بعد أن ازداد الظلم والاستبداد والطغيان الملكي على عامة الناس، هي تؤكد على جدارة الإنسانية الجوهرية وكرامتها وشرفها وفضيلتها على جميع العالمين، وتركز على أن الإنسان أحرى أن يحيى حياة السعادة والكرامة في المجتمع الإنساني، ويعتبر أنه جوهر حقيقي لهذا الكون والحياة، هو يستحق أن يستفيد من جميع المواد البشرية والمصالح الكونية أكثر من أي خلق، فإن الإنسان ليس عبداً لملك ولا خادماً لشخص، بل هو يملك قوة القيادة والسيادة بنفسه ولنفسه. وإن النزعة الإنسانية تعطي الأولوية للحاجات الإنسانية ومصالحها فهي في الأدب تشير إلى الاهتمام بالمروءة والكرم لجميع البشر.

وكانت فترة القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين الميلادي فترة حاسمة في تاريخ الأدب الحديث، وقعت في هذه الفترة تغيرات كبيرة وتقلبات عظيمة لا يزال ذكرها التاريخ الإنساني، وكذلك حدثت فيه حركات واتجاهات أدبية كثيرة، كما تتميز هذه الفترة بانقلابات هائلة في العلوم والتكنولوجيا والصناعة والمستحدثات المتنوعة.

وفي هذا العهد قد نشأ في مصر الأعلام والعباقرة ورجال الفكر والدعوة ممن قادوا قيادة علمية وأدبية في العالم العربي وكتبوا وصنفوا، ولهم آثار نافعة خالدة، كما أنجبت أرض مصر علماء بارزين، وكتاباً منفردين، وشعراء أفذاذاً.

وكثير منهم جعلوا موضوع أعلامهم الإنسانية أو المجتمع الإنساني ومفاسده، وأعلوا أصواتهم ضد الظلم والاستبداد والحكام الظالمين على عامة الناس مثل جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، طه حسين وعلى رأسهم مصطفى لطفى المنفلوطي.

إنه قد جعل موضوع كتاباته الإنسانية، وكتب مع جميع جوانبها بمقالاته وقصصه المتسمة بالنزعة الإنسانية بأسلوب خاص لم يسبق إليه الأدباء الآخرون في عصره؛ هويتناول هذا الموضوع فيتحدث في مقالاته عن عيوب المجتمع التي كانت ضد الإنسانية والأخلاق النبيلة مثل الفقر والبؤس والشقاء والانتحار والظلم والاضطهاد والمكر والاحتيال، وفي جانب آخر يوجد في مؤلفاته النقد اللاذع للأمرء والأغنياء المستبدين بأسلوب مليئ بالعاطفة الإنسانية والحب للفقراء والمساكين.

وحاول المنفلوطي أن يمزج الإنسانية بما تقتضي الثقافة المصرية، هي التي تجلب المعنوية الإنسانية إلى قلب القارئ عند المطالعة، فهذا الشيء يحتاج إلى مزيد من التفصيل فأردت أن أقوم بالبحث وشمريت عن ساعدي أن ألقى الضوء على جانبه الإنسانية وأبرز شخصيته من الناحية الأدبية الإنسانية خاصة.

فبحثي هذا يدور في معظم الأحوال حول نزعه الإنسانية في الأدب مع دراسة تحليلية لمقالاته وقصصه من الموضوعة والمترجمة.

وتحقيقاً لهذا الهدف المنشود أعدت الخطة لهذا البحث بعنوان "النزعة الإنسانية في كتابات مصطفى لطفى المنفلوطي" وهذه الخطة تحتوي على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما الباب الأول: فتناولت فيه الأوضاع السياسية والاجتماعية والأدبية في القرن العشرين الميلادي وما يتعلق بها من العوامل والأسباب في تطوير الأدب العربي.

أما الباب الثاني: ففيه ثلاثة فصول، في الفصل الأول قد سلطت الضوء على حياة المنفلوطي ونشأته وبيئته، وفي الفصل الثاني بينت أعماله وإنجازاته الأدبية، والفصل الثالث يشتمل على أقوال الأدباء والنقاد عن المنفلوطي وأسلوبه وقيمه الأدبية ومكانته بين معاصريه.

أما الباب الثالث: فهو ينقسم إلى ثلاثة فصول: في الفصل الأول قد ألقيت الضوء فيه على النزعة الإنسانية في الأدب العربي قديماً وحديثاً، وفي الفصل الثاني استعرضت القصص المترجمة للمنفلوطي بإشارة خاصة إلى مكان النزعة الإنسانية التي انتشرت فيها.

وفي الفصل الثالث قد سلطت الضوء على مقالاته، وأظهرت مقام النزعة الإنسانية مثل العطف للفقراء والمساكين والإنصاف للمظلومين والبائسين والدعوة إلى التمسك بالفضائل الإنسانية والنقد على الأمراء والحكام الظالمين والمستبدين.

وفي الأخير أتقدم بكلمات الشكر والامتنان بأعماق قلبي إلى كل من ساعدني وأفادني بتقديم رأي أو مشورة أو تشجيع خلال إعداد هذه الرسالة وأخص بالذكر مشرفي الجليل الأستاذ الدكتور محمد قطب الدين -حفظه الله- الذي قام بالإرشاد والتوجيه، وأفادني بتوجيهاته الرشيدة وآرائه القيمة خلال كتابة هذا البحث، ثم أقدم جزيل الشكر وعظيم التقدير إلى الأستاذ محمد عبيد الرحمن - زاده الله علما وفضلا - الذي أكرم علي إكراما بالغا ووفر لي بعض الكتب في هذا الموضوع وشجعني تشجيعا بإكمال البحث.

وكذلك أسدي كلمات الشكر إلى جميع زملائي وأصدقائي الذين قدموا إلي المساعدة والمعونة في استعداد هذا البحث وخاصة الأخ الكريم الباحث محمد مبشر حسن وطارق عمران ووصي الله خان ومدثر أحمد وحامد رضا - جزاهم الله خير جزاء- وغيرهم الكثيرين الذين لم يدخروا وسعا في إعداد البحث وتحسينه فكافأهم الله أحسن مكافأة في الدنيا والآخرة.

وأخيرا أدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل وأعتذر عن نواحي النقص والتقصير فالكمال لله وحده.

إقبال داننش

15 بريار هوستل

جامعة جواهر لال نهرو

دلهي الجديدة -67

الباب الأول

الأوضاع السياسية والاجتماعية في مصر في القرن العشرين

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في مصر في القرن العشرين

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية في مصر في القرن العشرين

الفصل الثالث: الأدب العربي في عصر المنفلوطي

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في مصر في القرن العشرين

كل من له إلمام بالأدب والشعر يحتاج في دراسته إلى معرفة الأحداث والأوضاع سواء كانت سياسية أو اجتماعية لأنها تؤثر في حياة الأديب والشاعر لوجود علاقة عميقة بين

السياسة والأدب. لأن الأدب مرآة صافية تعكس عليها حياة الأديب وما تأثر به من أحداث عامة.

فنظرا إلى هذه الحقيقة حاولنا استعراض الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لجمهورية "مصر" حتى نعلم ما هي الأسباب والعوامل التي حرّضت الأديب على الكتابة عن الشفقة والاسترحام على الضعفاء من المصريين والبؤساء والفقراء المضطهدين وتحذيره المصيبين من مفسد أخلاق الحضارة الغربية، ودعوته المصريين إلى القيم الإنسانية والإسلامية والحفاظ عليها كما ذكر أنيس المقدسي في كتابه الشهير "الفنون الأدبية وأعلامها" "أنه نشأ بين قوم بداءة سدّج، شديدي التمسك بالدين والوطن. فلما خاض غمرات الحياة ورأى ما رأى من المدنية الحديثة، لم يفقد ما نشأ عليه من التمسك بالدين وحب الوطن، بل نظر إلى المدنية العربية فهاله تهافت الناس على سيئاتها واستهتارهم بفضائلهم الشرقية وفقدانهم لكرامة نفوسهم، فكان ذلك من أكبر الدوافع له إلى الكتابة. وهكذا يقف المنفلوطي أمام المدنية الحديثة فيحدها بنظرات سوداء، ويندفع إلى تحذير مواطنيه من غوائلها. ومن أقواله فيها: "أصبحت أعتقد أن مفسد الأخلاق والمدنية الغربية شيئان متلازمان وتوأمين لا افتراق لأحدهما عن صاحبه إلا إذا افتردت نشوة الخمر عن مرارتها، فكيف أتمناها لأمة هي أعز على من نفسي التي بين جنبي"¹.

وهذا هو يندفع إلى تحذير مواطنه من عوائل المدنية في كتابه "النظرات والعبرات" وكذلك هذه هي الأوضاع التي اضطرتته إلى أن يعبر بكل ما كان موجودا في القصص الرومانسية الفرنسية باللغة العربية الفصحى بأسلوبه البليغ لنيل غايته وأهدافه المنشودة لذا اتخذ صاحبنا هذه القصص والروايات وسيلة للتعبير من البؤساء والمضطهدين المصريين الذين يعيشون عيشة ضنكة، ويعانون من المشاكل والمصائب تحت الاحتلال الفرنسي ومن بعدهم على أيدي خلفاء قوات الاحتلال مثل محمد علي باشا وكذلك أبنائه وأحفاده. لأن المنفلوطي - منذ تعليمه في الأزهر- كان مولعا وحريصا بالأدب من نثر وشعر فيه الهموم والأحزان، وفيه مواقف البؤس والشقاء، وفيه قصص المحزونين والمنكوبين. فنشأت نفسه على حب الرحمة

¹ أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها، ص: 290، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1984م.

والشعور مع الآخرين. كما عبر عنهم بنفسه في النظرات، وإذا أنا بين يدي هذا العالم المظلم المقشعر عالم الحقيقة والألم. فنظرت إليه نظر الغريب الجائر إلى بلد لا عهد له به وسكن له فيه فرأيت مخازيه وشروره وظلمة أجوائه واغبرار سمائه، وقتال الناس بعضهم بعضا على الذرة والحب... وسلطان القوة على الحق، وغلبة الجهل على العلم وإقفار القلوب من الرحمة وجمود العيون عن البكاء، وعجز الفقراء عن فتات موائد الأغنياء، وتمضغ الأغنياء بلحوم الفقراء. فداخلني من ذلك خطر عظيم لم أستطع أن أملك نفسي معه فأرسلت الكلمة إثر الكلمة، ما يتنفس المتنفس أويئن الحزين"¹. كما أشار شوقي ضيف الشهير المصري إلى هذا المعنى قائلا تتضح من حياة المنفلوطي بأن حياته غير هنيئة، فقد كان يشقى في سبيل الحصول على ما يقيم به أوده، فإنه هجا عباس حلمي الثاني بقصيدته فهو لا يزال طالبا في الأزهر، فحكم عليه بالسجن مدة.

عرف فيها مرارة السجون وكان لذلك ولعدم توفيقه في حياته أثره في إحساسه باليأس واليأس والامهم، وكانت مصر حينئذ تزرع تحت كابوس الاحتلال الإنجليزي الذي كان يضيق الخناق على أبنائها، فكانوا غير قليل عن البأس واليأس والتأم في نفس المنفلوطي يؤس أمته بيأس نفسه، فتحول بوقا لهذا اليأس.

فأريد أن ألقى الضوء على الأوضاع السياسية في مصر في القرن العشرين.

الحكم العثماني في مصر قبل النهضة

انتقلت الخلافة في مصر إلى آل عثمان بعد وفاة آخر الخلفاء العباسيين واستمرت الخلافة فيهم حتى سنة 1924م رغم أن السلطنة سقطت في سنة 1922م وحلت محلها الجمهورية التركية الحديثة. إن الدولة العثمانية كانت تهتم أشد الاهتمام بثلاثة أمور هي قبض المبالغ المتفق عليها في هذا الوقت وحفظ الأمن وحشد الجيوش إذا دعي داعي الحرب، فإنها كانت تتساهل بأشياء كثيرة منها قيام حكام وطنيين إذا كانوا يقومون بجمع الضرائب، وحفظ الأمن وحشد الجند.

¹ الفنون الأدبية وأعلامها، ص: 289.

هكذا كان الشرفاء يحكمون في الحجاز، كما ظل المماليك يتولون نوعا من الحكم في مصر. وفي لبنان كان المعنيون يحكمون من قبل مجيئ العثمانيين ثم استمروا يحكمون بعد ذلك حتى انتزع الشهابيون منهم الحكم. أما الأسر الإقطاعية التي كانت تتولى حكما محليا أو تتمتع بوجاهة سياسية في لبنان فكانت كثيرة جدا كبني سيقا وبني حرفوش وبني الصغير وآل جنبلاط وسواهم¹.

وظلت المناطق العربية عدا شمال إفريقيا خاضعة للحكم العثماني حتى بداية القرن العشرين. وقسمت المناطق العربية إلى أقاليم يحكم كل منها باشا عثماني. وهو حاكم يحدد مسؤولياته بشكل مباشر السلطان في أستنبول، ويساعده ثلاثة من رجال الدولة والجبابة وقضاة الشريعة، وكانت الحكومة المركزية تعينهم جميعا لمدة عام وذلك حتى تضمن ولاءهم، واستعانت ببعض العناصر المحلية كالعلماء والوجهاء مما جعل بعضهم يكتسب تدريجيا سلطة كبيرة كما كان الحال في مصر، حيث كسب المماليك من جديد قوة مؤثرة في حين كان الباشا العثماني ذا حكم ضروري².

ومن المعروف أن مصر والبلاد العربية ظلت تحت حكم الأتراك في حالة تخلف كبير وجهل فاضح من مرارة الظلم وقسوة البغي، فقد كان العثمانيون مشغولين في الحروب والدفاع عن بلادهم التي خضعت لهم بقوتهم العسكرية في أوروبا وآسيا وإفريقيا، يجمعون الثورات، ويخمدون الفتن ولم تكن المؤسسات العلمية شائعة في مصر والشام، سوى الأزهر³.

ولم يكن هم الولاة الأتراك إلا جمع الأموال واستدراها بأية وسيلة غير مبالين بصرخات الشعوب صارفين النظر عما يقاسونه من ضنك وبؤس وفاقة وجهل. وكانت مصر والشام مواجهتين لأوروبا، وكان التقاءهما بالغرب التقاء مباشرا للموقع الجغرافي أولا ولاستهداف الغرب لهما ثانيا فكان نصيبهما من هذا التأثير أكبر من غيرهما من البلدان الآسيوية⁴.

¹ المنهج الجديد في الأدب العربي، عمر فروخ، ج: 2، ص: 164.

² عبد العزيز السبيل، أبو بكر قادر، محمد الشوكاني، الأدب العربي الحديث تحرير: محمد مصطفى بدوي، مطبعة جامعة كمبريدج 1992م.

³ عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج: 1، ص: 11. ، وواضح رشيد، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ص: 27.

⁴ أحمد حسن الزيات/ تاريخ الأدب العربي، ص: 415، وواضح رشيد/ أعلام الأدب العربي ص: 28.

كان الحكم للأتراك وأما السلطة الفعلية فكانت في يد المماليك وجميع ثروة البلاد في أيديهم¹.
لم تكن لهم عصبية وإنما كانت ضربة موقفة من حام الوالي المتآمر تكسبه الصدارة بين أبناء
جلدته.

أما روح هذا الوالي، فكانت روح العبد الوضيع ليس له من هم إلا الاستيلاء على النساء
والخيل والأموال، وكان الفلاح البرئ المسكين يغزي وتنهب أمواله ولم يكن التاجر
المصري أو الأوربي القريب بأحسن منه حالاً.

قد فرض الأتراك على البلاد نوعاً من الاحتلال هو في حقيقته محاولة لقتل البلاد مادياً و
أدبياً. وذلك أن احتلالهم قد عمل على امتصاص كل خيرات الشعب، ومصادرة جميع موارده
فنقلوا أكثر الكتب التي كانت بخزائن المدارس إلى بلادهم ثم نقلوا كثيراً من العلماء والأدباء،
والأمراء والمهندسين وأرباب الحرف، وجعلوا الأعمال الإدارية في أيدي الأتراك ثم أكثروا
من فرض الضرائب وأهملوا كل إصلاح ولم يوجهوا أية رعاية إلى التعليم حتى أغلقت
المدارس بل هدمت وبذلك انهارت الحياة العقلية والأدبية في مصر كما يقول أحمد هيكل: "قد
انطفأت شعلة الحياة العلمية في البلاد إلا وميضاً ينبث في الأزهر الذي ظل الملاذ لما بقي
في علوم الدين واللغة وإن كان يعاني في تلك الآونة كثيراً من الجمود ككل مظاهر الحياة في
ذلك العهد المظلم"².

ولا ريب فيه إن الحالة الاجتماعية والأدبية تتأثر إلى حد كبير بالحالة السياسية، تعطلت
الحركة الأدبية وانحرفت اللغة العربية وملأت بالعامية والتركية وخرجت عن سلامة
التركيب والعربي الأصيل.

وكان من نتائج هذا الاحتلال كذلك أن قلت أموال الأوقاف التي كانت محبوسة على العلماء
وطلبة العلم وأن اللغة العربية لم تجد في هذا العصر المظلم من يساعدها وذلك لأن اللغة

¹ أحمد حسن الزيات/ تاريخ الأدب العربي ص: 415.

² أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، ص: 17.

التركية صارت اللغة الرسمية في الدواوين ولأن الحكام لا يفقهون العربية ولا يقدرونها ولا يميزون بين الجد والغث من الكلام حتى يلجأ إليهم الكتاب والشعراء مادحين.

أما المعتقدات قد شاعت فيه الخرافات والأباطيل والتقاليد الغربية حتى اعتقد الناس بالعفاريت والسحر وما يتعلق به من ضروب الأوهام والخرافات حتى وصلت هذه المعتقدات في الطبقة العليا وقد شغلت مسألة السحر والمعتقدات الخرافية أقلام الكتاب وشاعت المناظرات بسببها على صفحات الجرائد حتى جرت المناظرات بشأن الأرواح ومناجاتها كما يذكر الأستاذ أنيس المقدسي في كتابه "الفنون الأدبية وأعلامها": "إن القرن الماضي كان على العموم ذا عقلية تميل إلى الاعتقاد بالخرافات وما شاكل توها أن ذلك مما يؤيده الدين. ولما أخذ نور العلم يشرق قام أفراد من المستنير يحاربون الأوهام ويبينون أن الدين شيء والخرافات شيء آخر. واستمر هذه الحرب إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى وقد اشتركت فيها جميع الأقطار العربية المستنيرة بنور العلم الحديث"¹.

الأحداث المؤثرة في العصر الحديث

دراسة الأدب من الأمم تحتاج إلى معرفة الأحداث الكبرى التي أثرت في حياة عصر هذا الأدب، لأن الأدب مرآة ناصعة صافية لحياة عصره. ولذلك لابد من ذكر الأحداث المؤثرة في العصر الحديث قبل التحدث عن موضوع النثر العربي الحديث.

حملة نابليون على مصر:

هدم الترك الحضارة الإسلامية التي وجدت في مصر والشام منذ غزوات التتار للشرق العربي وغزوات المسيحيين الشماليين للأندلس بفتحهما في القرن السادس عشر، فانهارت

¹ أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها، ص:24، دار العلوم للملايين، بيروت 1984.

الحياة العقلية والأدبية في مصر، ولم يكن عندهم نظام في الحكم والسياسة وبلغوا إلى أقصى درجة الهوان والفساد، وفي هذا العصر قدر لأوروبا أن تعيش حياة عقلية وأدبية نشيطة اشتملت على مناحي الفكر الإنساني من علم وفلسفة وأدب.

فكان غزوة نابليون (Napoleon) (1769-1821م) مصر في عام 1798م أهم الأحداث التي يجب الرجوع إليها للتحدث عن الأدب المصري منذ القرن الماضي. لأن هذا الغزو كان غزوا عسكريا وفكريا وثقافيا، وخلف آثارا ساحقة على شعب مصر.

مكثت هذه الحملة نحو ثلاث سنوات كانت جميعها جهادا عنيفا بين الوطنيين والمعتدين.

وإن نابليون لم يكن قائدا عسكريا فقط، فقد عمل معه وسائل العلم والثقافة، كالمطبعة والعلماء، وأنشأ المطبعة وجرائد ومجلات، وأنشأ دور التعليم.

"أنشأ العلماء الفرنسيون المصاحبون للحملة في مصر مراكز للأبحاث الرياضية، ومرصد فلكية، ومعامل كيمياوية، كما أنشأوا بعض المصانع ومعامل للورق ثم مجمعا علميا لدراسة أحوال مصر الطبيعية والجغرافية، والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والثقافية وكان ذلك أساسا لإمداد الحكومة الفرنسية بالمعلومات والتوجيهات والإحصاءات والخرائط ... وكذلك أقام الفرنسيون مطبعة عربية وأصدروا صحيفتين فرنسيتين ونشرة باللغة العربية كما أقاموا مسرحا للتمثيل، كانوا يقدمون فيه رواية فرنسية كل عشر ليال، وفتحوا مدرستين لتعليم أبناء الفرنسيين مكتبة عامة"¹.

ومن أجل معرفة الأوضاع السياسية والاجتماعية لسماحتنا يجب علينا أن نلقي الضوء على محمد علي الباشا الحاكم المصري وأسرته وهي بالتالي:

فترة محمد علي وأسرته:

محمد علي باشا 1805-1849م، إبراهيم باشا بن محمد علي 1848م من فبراير إلى يونيو، عباس الأول بن طوسون باشا 1848-1854م، سعيد باشا بن محمد علي 1854-1863م، إسماعيل باشا بن محمد علي 1863-1879م، توفيق 1879-1892م، عباس حلمي الثاني

¹ تطور الأدب الحديث في مصر / أحمد هيك، ص: 25.

1892-1914م، السلطان حسين كامل 1914-1917م، السلطان أحمد فؤاد 1917-1922م، ثم أصبح الملك فؤاد 1922-1939م، الملك فاروق الأول 1939-1951م.¹

سياسة محمد علي

كان محمد علي جنديا ألبانيا مغامرا، قد جاء إلى مصر ضمن الحملة التركية التي اشتركت في إخراج الفرنسيين سنة 1801 وحينما خرج المستعمرون الفرنسيون من ديار مصر فأخذت تتموج آمال المصريين ومطامحهم في قلوبهم عن وطنهم العزيز، وكانوا يزعمون أنهم أحرار وطلقاء فسوف يبدعون تاريخا جديدا لقوم مصري مجاهد. فلذا اختاروا محمد علي واليا عليهم لكي يحقق أمنياتهم وآمالهم في المستقبل ولكن الأمر ذهب خلافا عن ذلك فقد بدا لهم أنه هو عميل الفرنسيين فحكمهم على وطيرة الفرنسيين ومنهجهم، وسلب حقوقهم ففضى بذلك على آمالهم وهي اشتراكهم مع الحكام والإسهام في أمورهم السياسية وتحقيق المساواة بين المواطنين، فيقول الدكتور أحمد هيكل في كتابه "تطور الأدب الحديث في مصر" "قد امتدت أطماعه إلى الاستقلال بمصر أولا، ثم تأسيس إمبراطورية كبيرة ثانيا. واستطاع بدهائه ومكره أن يخدع القوى الشعبية التي ظهرت قوتها أثناء مقاومة الفرنسيين، حتى ولته تلك القوى حاكما على البلاد سنة 1805م، وما لبث أن خان تلك القوى، فاضطهد زعماءها وعلى رأسهم السيد مكرم، كما غدر بالمماليك فنكل بهم في مذبحه القلعة ورأى أن الحاجة ماسة إلى قوة مسلحة تخدع القوى الشعبية التي يدين لها بعرشه، وترهب بقايا الممالك الذين ييناز عونهم، كما تحميه من تركيا إلى تملك عزله، وإنجلترا التي تهدد أطماعه".²

إنه كان مستبدا على المصريين في أداء حقوقهم اللازمة من جهة، ومن جهة أخرى كان مؤامرا حيث فتح أبواب مصر السوقية التجارية والاقتصادية للأوروبيين لقد حقق الاستعمار الأوروبي هدفه في الاستفادة من المنشآت والإصلاحات المادية التي قام بها دميته محمد علي.

¹ راجع للتفصيل، الأمن القومي المصري... التاريخ والحاضر والمستقبل، منتديات عبد الرحمن يوسف على شبكة الإنترنت، الموقع: <http://montada.arahaman.net/t4053.html>، ويكيبيديا الموسوعة الحرة الموقع: www.eiki.pedia.

² أحمد هيكل/ تطور الأدب الحديث في مصر، ص: 26.

فحكم محمد علي المصريين ظلما وقهرا وضاق عليهم الحياة وزاد في أسعار المعاييش أضعافا مضاعفة وفرض على الفلاحين الضرائب، وأبطل تجارتهم حتى اضطر الفلاحون إلى ترك الأراضي الزراعية وخرجوا من قرارهم فرارا من سياسته الغاشمة وأعرضوا عن اشتراك في جيشه فقد بلغ عدد الفلاحين الفارين في عام واحد وذلك بعام 1831م ستة آلاف.¹

امتص محمد علي حقوق الشعب المسلم المصري وخيراته وفتح للتجار الأوروبيين على مصراعيه لدخول مصر والمهيمنة على اقتصادها، وأصبحت مصر هي المزرعة التي تعتمد عليها أسواق أوروبا من المنتجات الزراعية وارتبطت مصر بأوروبا ارتباطا حضاريا وتجاريا.

فقد كان يعاني الشعب المصري معانات قاسية، وخاصة في عهدي محمد علي وعباس، فإنهما صبا عليهم الصعوبات فضاقت عليهم الأرض بما رحبت عليهم فكان الشعب المصري ألعاب الأطفال في أيدي الحكام فيلاعب بهم الأمراء كيفما يشاءون أو أنهم مثل ماكينة وأدوات فيشغلها المشغل حسب ضرورته واحتياجه فكان المجد والشرف لأسرة محمد علي وبطانته فقط وكان الأتراك على المناصب الجليلة العالية، وكانت لا توجد أي فائدة ولا جدوى ولا خير في جدول سياسة محمد علي وأسرته عن الشعب المصري ولا توجد في أسرته فكرة قومية لأنه كان ألبانيا في الأصل ولكنه هو وأسرته صبغوا بالصبغة التركية.²

وقد رغب محمد علي في إعداد جيش على نمط الجيوش الأوروبية للدول الكبرى. ورأى ضرورة إنشاء المدارس واستقدام الأساتذة الأوروبيين ليؤدي هذا العمل أداء حسنا، فأنشأ المدرسة الحربية ومدارس ابتدائية وثانوية.

وقد اهتم محمد علي منذ سنة 1826م بإرسال البعثات الكبيرة. وهكذا اختلطت جماعة من الشباب المصري وعلى رأسها رفاة الطهطاوي بالحياة الغربية. ولما عاد رفاة من البعثة شارك في حركة الترجمة العلمية التي كان الباعث ورائها الضرورة المدرسية، ليعلم المصريون العلم الأوربي، ثم أنشأ محمد علي مدرسة الألسن من أجل خدمة هذه الحاجة

¹ أحمد هيكل/ تطور الأدب الحديث في مصر، ص: 29.

² الأدب العربي المعاصر/ شوقي ضيف، ص: 15.

وعين رفاة ناظرا لها. وفي عصر إسماعيل سارعت مصر نحو الامتزاج بالحضارة الأوروبية فاصطبغ كل شيء بهذه الحضارة صبغة حقيقية. نجد في مصر نظاما نيابيا قضائيا، يشبه النظام الفرنسي، هذا من ناحية السياسة والتشريع، وفي مجال التعليم نرى نشأة المدارس العالية المختلفة وتأسس كثير من المدارس الثانوية والابتدائية. وأيضا تأسست مدرسة البنات فصار التعليم غاية لنفسه تقصده به خدمة الشعب لخدمة الجيش. أسست الأوبرا وأنشأ يعقوب صنوع فرقة تمثيلية كان يترجح لها، ويؤلف تمثيلات مختلفة.

تأثر الشعب المصري بالحملة الفرنسية من نواحي أخرى منها أنه اطلع المصريون على بعض وجوه الحياة الأوروبية، ورأوا حياتهم المادية في الأكل والشرب و اللهو و حفلات التمثيل والغناء والرقص والموسيقى.

فالتفت المصريون إلى تقدم الغربيين في العالم. قدم جماعة من العلماء البارعين المتخصصين في العلوم المختلفة من التاريخ والطبيعة والرياضي مع نابليون، وأسس نابليون المجمع العلمي معامل ومكتبة ومطبعة، والبحث العلمي التجريبي كان يجري في المعامل، والفرنسيون كانوا يستدعون المصريين لرؤية التجارب الكيميائية التي كانوا يعملونها، ولم يعرفوها المصريون فيعجبون ويدهشون.

فتح قناة السويس

فتحت قناة السويس في عهد إسماعيل، ولها أهمية كبرى من حيث أنه آثارا عملية واضحة. زاد إقبال الأوروبيين على مصر وذهاب المصريين إلى أوربا، هكذا كانت القناة في تقريب المسافة المادية والمعنوية بين الشرق والغرب، فتقاربت الاتجاهات الفكرية والحضارية بين الأمتين العربية الشرقية والعربية وهو من أسباب احتلال الإنجليز لمصر فيما بعد.

وفي سنة 1871م زار جمال الدين أفغاني مصر ، وقضى فيها نحو ثمان سنوات، وقام خلالها بدعوته المشهورة إلى إصلاح الدين والإفادة من الثقافة الغربية في الدفاع عن الإسلام فاجتمع حوله كثير من المثقفين المصريين من أمثال الشيخ محمد عبده، وعبد الله نديم مصطفى كامل والشيخ على يوسف.

أحداث عامة في عصر المنفلوطي

عاصر مصطفى لطفى المنفلوطي حادثة الاحتلال الإنجليزي على مصر في عام 1882م¹ بعد انهزام قوات الجيش المصري فهذا الاحتلال تسبب عن تشتت شمل زعماء مصر، وتفرق جمع كلمتهم، وراح الإنجليز يتعاملون معهم معاملة الحمير والدواب فليس عندهم المؤسسات والمساوات مع أناس مثلهم، وضيقوا الحياة الاجتماعية من أمن وسكون وراحة وطمأنينة فتبدل الأرض غير الأرض وضاق على المصريين بما رحبت، فهؤلاء الإنجليز ألغوا الجيش الوطني، وقلبوا نظام التعليم لغة ومنهجاً فأصبحت اللغة الإنجليزية لغة التعليم بدلاً من العربية².

غيروا الدستور المصري وقاموا بفصل السودان عن مصر . وقد ظهرت دعوات خبيثة من خبراء الاستعمار، وبعض من خدع فيهم من العرب، وراحت هذه الدعوات تهاجم الفصحى. وتنسب إلى المصريين التخلف والعجز لسببها، وتنادي العامية لغة للتأليف العلمي والأدبي، وبإحلال العامية محل الفصحى في القراءة والكتابة³. وعاش المصريون فترة الحرب الكبرى الأولى في ضيق بالغ وتحت ضغط رهيب، حيث فرض الإنجليز على الصحف الرقابة وأعلنوا الأحكام العسكرية بل تجاوزت سلطات الاحتلال إلى اعتقال بعض الزعماء المسلمين ونفيهم إلى مالطة وقد شبت الثورة المصرية في مارس سنة 1919م⁴.

وقد كان في طليعة الصحف الوطنية في ذلك العهد صحيفة "المؤيد" للشيخ علي يوسف وقد ظهرت سنة 1889م وارتفع صوتها منذ العام الأول بمسألة الجلاء، ثم ظهرت صحيفة "الأستاذ" للسيد عبد الله النديم سنة 1892م حملت على الاحتلال والفساد الذي جره على البلاد حتى ضاق بها الإنجليز، وضغطوا على الخديو حتى أبعدها عن مصر، ثم ظهرت "اللواء" لمصطفى كامل سنة 1900م و "الجريدة" كان يرأس تحريرها سيد لطفى .

¹ أحمد هيكل/ تطور الأدب الحديث في مصر، ص: 94. ومحمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث المعاصر، ص: 10

² المصدر السابق، ص: 92.

³ المصدر السابق، ص: 94.

⁴ المصدر السابق، ص: 105.

وقامت هي الأخرى بدور في تحرير الفرد والجماعة لايمكن أن يجحد، وإن لم تكن في حماس "المؤيد" و"الأستاذ" و"اللواء" فيما يتعلق بموضوع الجلاء والتشهير بالإنجليز.

وقد كان من أبرز الأحداث التي وجد فيها الوطنيون والصحافة الوطنية مجالاً لمهاجمة الإنجليز، الحادثة التي وقعت سنة 1906م، والذي نصب فيه الإنجليز المشانق وأدوات التعذيب لأبناء تلك القرية المسالمة من قرى المنوفية قبل أن يحاكموا قتل أحد الإنجليز الذين كانوا قد ذهبوا إلى تلك القرية لصيد الحمام فأصيب بضربة الشمس أنهت حياته.¹

نشأ مصطفى لطفى المنفلوطي وترعرع في هذه البيئة المظلمة التي كانت تسود على الشعب المصري. فإن مصر كانت تحت الإمبراطور المسلم ولكن في استيلاء الإنجليز والقيادة الأوربية. وإن الخرافات والعيوب الاجتماعية والدينية والسياسية كانت سائدة في المجتمع المصري كله.

والمنفلوطي كان من تلاميذ الشيخ المربي محمد عبده وكان يلم بالاجتماع ويكتب عنه فكان ينشر في صحيفة (المؤيد) مقالات تتناول بعض جوانب المجتمع بعنوان "المنظرات" ينظر فيها في بعض المساوي الاجتماعي ثم قد جمعها ونشرها بنفس العنوان، وليس المهم الموضوع وإنما المهم الإطار الذي صاغه فيه. فقد عني بأسلوبه وأدى معانيه فيه أداء فنياً بديعاً، ولم يحاول ذلك في أسلوب السجع الذي شاع في العصر العثماني، ولكنه عني عناية بارعة بأسلوب خاص باختيار ألفاظه وانتخابه، ووفر لها ضروباً من الموسيقى بحيث تسيغها الأذان وتقبل عليها. وكان الشباب في أول القرن يعجب بهذا الأسلوب إعجاباً شديداً وظل ذلك الإعجاب يرافقهم طويلاً.²

وكان المنفلوطي من أشهر المترجمين في أوائل القرن العشرين. وكان عطوفاً على الإنسانية والبؤساء وظن أنه عرف أصدقائه ما يريد، لأننا نجد أكثر ما يترجم له من آثار المذهب الرومانسي الذي كان يعني أصحابه بالفضيلة والعدالة والانتصار للقراء ونقد الأغنياء في أسلوب مليء بالانفعال العاطفي، ووكانت طريقة المنفلوطي أن يأخذ ما ترجم له ويمصره

¹ أحمد هيكل/ تطور الأدب الحديث، ص: 106. وجاد طه معالم تاريخ مصر الحديث المعاصر، ص: 242

² شوقي ضيف/ الأدب العربي المعاصر، ص: 175.

تمصيرا، يعطي لنفسه في ذلك حرية واسعة حتى لكأنه يعيد كتابته وتأليفه من جديد، وهو تأليف يقوم على الاسترسال الإنشائي والانطلاق الوجداني والوعظ الأخلاقي، ومن القصص التي أعاد تأليفها على هذا النحو قصة "بول وفرجينى" لبرناردين دي سان بيير وسماها "الفضيلة" وقصة "ماجدولين" أو "تحت ظلال الزيزفون" لأنلفونس كار، وقصة "الشاعر" أو "سيرانو دي برجرانك" لأدمون روستان، و"في سبيل التاج" لفرانسوا كوييه. وكلها تكاد تفقد الصلة بالأصل، كما تفقد حبكة القصص فليس الغرض الأول القصص وإنما الغرض تصوير الانفعالات العاطفية والاسترسال في أسلوب بليغ.¹

الفصل الثاني

الأوضاع الاجتماعية في مصر في القرن العشرين

إن الأوضاع الاجتماعية لكل شعب نتيجة أسباب قديمة متعاقبة وظروف متنوعة وهي في الأغلب نتيجة أسباب دينية، وسياسية، وتعليمية واقتصادية. تلك الأسباب تجمع في بيئة اجتماعية.

إن دولة مصر منذ الزمن القديم مركز أطماع الفاتحين والغزاة. وأثبت التاريخ لها استعدادا بارزا في التطور والرقى كانت مصر من أعسر الشعوب حقا بسبب احتلال الأجانب. واستمرت عليها الغارات العنيفة والشدائد الأجنبية وامتصت خيراتها ونجاحها.

إن المجتمع المصري له المميزات الكبرى التي يتميز بها، وخصائله وتقاليدته التي يفخر بها، وأساليبه في الحياة التي درج عليها وأخذ بها منذ مئات السنين، هذه الصفات ليست شرا

¹ شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر، ص: 229.

خالصا وليست خيرا خالصا وإنما شأنها في ذلك شأن الخصائص الاجتماعية والخلقية لأي مجتمع شعب متصف من الحسن والقبح. سوف نذكر هنا عدة مظاهر رئيسية التي تتجلى خلال دراسة الأوضاع الاجتماعية في مصر، وهي: المعتقدات العامة -الحياة العائلية- العلاقات الطائفية وغيرها.¹

المعتقدات العامة

كان في مصر عامة وفي القرن العشرين خاصة من حيث نظر الناس إلى الحياة وما وراءها امتداد القرون الوسطى المظلمة، فقد شاعت فيه الخرافات والأباطيل والتقاليد الغربية ولا عجب أن يكون ذلك في شعب أمي إلا القليل منه. فالأمية جو ملائم كل الملائمة لانتشار المعتقدات التي لا يقرها العقل المستنير لينور بالعلم والمعرفة، ومن ذلك اعتقاد الناس بالسحر في عهد الرواد لم ينحصر في الطبقات الجاهلية من الشعب بل تسرب إلى خارجها حتى وقع تحت تأثيره عدد من المتعلمين. ذكر الدكتور شاکر الخوري - وكان في أواسط القرن الماضي يدرس الطب في مصر- إن الاعتقاد بالعرفان كان شائعا في مصر وقال: "والأغرب أن بعض تلامذة الطب يعتقدون بها مع أنهم متعلمون ومتفقهون" وقد شغلت مسألة السحر والاعتقادات الخرافية أقلام الكتاب وشاعت المناظرات بسببها على صفحات الجرائد ففي رسالة بعث بها المهندس قاسم هلالى إلى الهلال سنة 1898م يشكو من نشر الخرافات، ويقول بعد أن قصّ حادثة جرت له مع بعض الأعيان.

"ولو كانت هذه الخرافات قاصرة على الرعاع الذين لا يعولّ عليهم ولا يركن إليهم لهان الأمر ولكنها منتشرة بين الأمراء والأعيان وأهل الشرف والترف الذي من شأنه أن يجعل الأصاغر يعتقدون فيه والأجانب يضحكون منا ويسخرون بنا".

¹ أنيس المقدس، الفنون الأدبية وأعلامها، ص: 21.

قصارى القول إن القرن الماضي بالعموم والقرن العشرين بالخصوص كان يميل إلى الاعتقاد بالخوارق والخرافات والمشاكل وهماً¹.

الحالة العائلية:

ما كانت الحالة العائلية في القرن الماضي كما هي الآن - سواء من حيث علاقة الرجل بالمرأة أو علاقة الوالدين بالأولاد. فالمرأة كانت بحكم التقاليد مسجونة بقيود ثقيلة من الجهل والغباوة والعبودية، لم تكن المرأة مثقفة، ولم يكن يسمح لها في البيئات المتحضرة أن تظهر أمام الرجال أو في الأماكن العمومية التي يأمرها الجمهور، وكانت المرأة المسيحية تتمتع بالحرية تماماً، لكنها هي أيضاً تساوي بالجهل العام وتقاسي كثيراً من هضم الحقوق².

ولما قام الناس بالاستيقاظ قليلاً، وفتحوا عيونهم على أنوار المدينة والعلم، قام بينهم يوماً دعاة إلى الإصلاح، ولكن دعوتهم لم تبلغ درجة الإيمان بحق المرأة في مساواة الرجل وفتح باب الحضارة على مصراعيه أمامها. فصارت تلك الدعوة حذرة تخشى على المرأة عاقبة التمادي في الحياة العصرية. حتى نشر بعض الأدباء المعروفين مقالاً سنة 1872م موضوعه "المرأة بين الخشونة والتمدن" فيذكر ما كانت على المرأة قديماً من جهل وعبودية ويدعو إلى تنويرها وترقية حالها ولكن مع ذلك لا يخفى خوفه من عواقب التمدن الحديث زاعماً " أنه قد أفسد العصريات وعبث بأدابهن حتى زاغت فتاة العصر. وعنده أن التضيق القديم مضر وكذلك "التوغل في عباب التمدن" وهو لذلك يدعو إلى تربية المرأة خلقياً ورفع مستواها الفكري على أن لا يتجاوز أبسط العلوم (أي القراءة والخط وشيء من الحساب والجغرافيا وقواعد لغتها) لأن ذلك كما يقول "يكفي لتنوير عقلها وتوسيع دائرة أفكارها. وإن توغل المرأة في عباب العلوم إنما ينتهي إلى عكس المطلوب لأن الشيء إذا تجاوز حده جانس ضده".

وما يقوله صاحب مقال المذكور يقوله أكثر الكتاب في ذلك العهد بل ظل يردده جماعة أهل القلم والرأي إلى عهد قريب من زمننا الحاضر. مثلاً دعوة رفاة طهطاوي في مصر إذ قام

¹ أنيس المقدس، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، ص: 23.

² المصدر السابق، ص: 24.

في عهد إسماعيل يناصر أول مدرسة أنشئت للبنات في مصر. ويدافع عنها ضد الرأي العام.

ويبدو من أقوال الكتاب في القرن الماضي إجماعهم على وجوب تعليم المرأة وتحسين حالها، ولكنهم في الوقت نفسه لم يقولوا بوجوب مساواتها للرجل. ويعتبر عن رأيهم أديب إسحق بقوله من مقال موضوعه حقوق المرأة حيث يذهب إلى أن المرأة يجب رفع شأنها ولكن لا بمماثلتها بالرجل فالمساواة بين الرجل والمرأة يجب أن تفتقر بالفارق الطبيعي بينهما.

وإذا توجهنا إلى الحياة العالية من حيث علاقة الآباء بالأولاد وجدناها في القرن الماضي متأثرة نوعا بروح الإقطاعية السائدة. فصاحب البيت كان سيدا فيه وإطاعته واجبة على الجميع، وهو بمثابة شيخ عشيرة يتصرف بشؤونها كما يراه مناسبا لتقاليد العشيرة أو مصلحتها. فليس لأحد أن يفعل شيئا بدون إذن منه، ويزوج الابنة لمن يشاء من الناكحين وعليها القبول، ويخط ابنه سبيل العمل وعليه السير في ذلك السبيل، فكأن الإقطاعية قديما لم تكن فقط نظاما سياسيا عموميا يستخدمه الأمراء لحكم رعاياهم بل كانت أيضا تقليدا عائليا يحترمه الكبير والصغير. كانت هذه الحالة سائدة في جميع المجتمع العربي عامة، بل هي توجد في عدة أقطار حتى الآن.¹

العلاقات الطائفية

في بيئة حضرية كان للدين تأثير فعال في حياة الناس الفردية والاجتماعية. وهذه الحقيقة أن الخلافات والمنافسات المذهبية كانت تجعل من شتى الطوائف في الوطن الواحد جماعات مختلفة في المقاصد، متنافرة القلوب تسيئ الظنون بعضها ببعض، وتدخل الريبة والبغضاء محل الثقة والإخاء. كما صور مخايل مشاقة حالة المجتمع العربي عامة من حيث التعصب الديني في زمانه فيقول: "وكان التعصب الديني بالغا أشده. وكان كل رجل يحسب كل رجل

¹ أنيس المقدس/ الفنون الأدبية وأعلامها.

غير متدين بدينه، جاز (كذا) له قتله والاعتداء عليه، لا إثم عليه في ذلك ولا تثريب في ابتزاز ماله وعرضه. وقد انتشرت هذه الروح التعصبية حتى عمت السواد الأكبر من القوم".¹

وظل هذا التعصب قويا بين الطوائف والفرق حتى الآن و يوجد في العصر الراهن كثير منه، ويعرف عيانا وسماعا ما يجري باسم الدين في البلدان العربية المختلفة من تصرفات وحوادث مصدرها الجهل والمطامع الفردية والطائفية.

والحقيقة أن الدين الحقيقي إنّما هو علاقة شخصية بين الإنسان وخالقه. فليس في اختلاف المذاهب وطرق العبادة ما يحول دون ارتباط أبناء الوطن الواحد بالولاء للوطنية. تلك حركة فكرية نيرة ولكنها لم تكن واسعة النطاق في القرن الماضي. ذلك القرن الذي ورث عقلية القرون الوسطى المظلمة. فلم يعرف أبنائه من إخاء غير إخاء بين الدين والمذهب. وما عدا ذلك فغيرة عمياء وجفاء سيئ الظن يستخدمها أهل الأغراض من الحكام والزعماء لتفريق الصفوف وإشعال نار الفتنة، كما حدث بعد أن ترك الجيش المصري الشام سنة 1840م.²

الفصل الثالث

الأدب العربي في عصر المنفلوطي

¹ أنيس المقدس/ الفنون الأدبية وأعلامها، ص: 28.

² المصدر السابق، ص: 30.

إن اللغة العربية انحرفت وفسدت في عهد سيطرة الحكم التركي على مصر، فكثرت فيها التركي والعامي، وقد خرجت من سلامة التركيب العربي وأصبح الأدب في حالة من السقم، وصارت نماذج نثرية هزلية فلم يكن وراءها أي صدق إحساس أو فنية تعبير.

وكان أكثر النتائج الأدبي في هذا العهد يدور حول الأمداح النبوية والأمور الإخوانية، والمواظم المباشرة، وتسجيل بعض الأحداث في لغة سقيمة حتى جعل الشاعر يقال شاعر الربابة، الذي يقص تلك الأشعار على الناس في المقاهي والمحافل.

أما الكتابة الفنية فكانت تليقا خالصا من أساليب السابقين وقد أدخلوا فيه كثيرا من التصنيع واستعمال البديع، ولم يأت هناك شيء من الجديد والابتكار. فالناس كانوا يعيشون على التقليد وتكرار أعمال السابقين، فجمدت الكتابة الفنية وأصبحت ضعيفة.

وحيثما أقبل العصر الحديث بنهضته منذ القرن الماضي وما فيه من ترجمة وإحياء للتراث العربي القديم وطباعة الكتب وانتشار الصحف اليومية وغيرها من العوامل التي ساعدت على نمو الأدب وتقدمه فبدأت الأساليب تتطور وتتقدم، وتترك السجع والتقليد والأساليب العامية الساقطة والكلمات الدخيلة على العربية بقدر الإمكان. وقد جاء الأدباء البارزون الذين أخرجوا الأدب العربي من قيود البديع وأغلاله مثل رفاة الطهطاوي الذي تعلم في الأزهر وتخرج فيه ورافق البعثة الكبرى الأولى محمد علي إماما لها. وكان هذا بدء نهضتها الأدبية المصرية لأن الرفاعة وتلامذته لم يتحرروا من السجع والبديع.

وبعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر جمعت دوافع حقيقية لتحرر النثر وانفكاكه من قيوده الغليظة، وكانت مصر في هذا العهد حقلا واسعا للترجمة ونقل الآداب الغربية فقد ترجم كثير من الروايات والقصص وترجمت كتب لاتكاد تحصى في الاجتماع، والقانون، والاقتصاد وجميع فروع الفكر الغربي.

وأنشئت المطابع وكثرت الصحف والجرائد وقد ترك الأدباء والكتاب اللغة القديمة التي كان يكتب بها رفاة الطهطاوي وقد ظهر الأدباء البارزون والصحفيون البارعون في هذا العهد، ومن أبرزهم جمال الدين أفغاني، محمد عبده علي يوسف، عبد الله نديم، مصطفى كامل

صاحب صحيفة "اللواء" ولطفي السيد صاحب "الجريدة" ومصطفى لطفي المنفلوطي الذي كان يكتب في الاجتماع "للمؤيد" مقالات تتناول بعض جوانب المجتمع بعنوان "النظرات" ينظر فيها مفاصد المجتمع، وطه حسين، أحمد أمين وعلى هذا النحو وظفر الأدب العربي ونقده في الإصلاح والصواب حتى الحرب الأولى العالمية.

إن المنفلوطي قد اشتغل في عهد الذي كان عهد التطور والنمو للأدب العربي الحديث، فبذل جهوده الشاقة في إيصاله إلى أوج الكمال، وسماء الرقي والجمال، ولا ننسى مجهودات نبيلة للأدباء المعاصرين الذين خدموا الأدب العربي بكل جهد مديد، والأعمال الأدبية الأخرى التي سببت التنمية للأدب العربية. فنحن نريد هنا أن نلقي الأضواء الإجمالية على بعض حياة الأدباء المعاصرين المعروفين وتأليفاتهم الهامة في الأدب العربي، وعلى الأعمال الأدبية الأخرى مثل الجرائد والمجلات، موجزا فيما يلي:

الأدباء:

عباس محمود العقاد (1889-1964م)

هو كاتب شهير وناقد كبير، ولد في "أسوان" سنة 1889م في أسرة متوسطة، وكان أبوه أمينا للمحفوظات. وقد حصل دروسه الابتدائية في كتاب بلدته، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية ثم المدرسة الثانوية، وذهب إلى القاهرة وهو في الرابعة عشر من عمره. وحصل اللغة الإنكليزية وأتقنها. ولم يكمل تعليمه في المدارس والمعاهد الرسمية. بل كان منقطعاً عن التعليم النظامي، وعكف على المطالعة فأخذ يدرس معتمداً على ذوقه وعلى ذهنه الخصب وكثرة مطالعته، واتصاله برجال الفكر. وفي سنة 1912م أصبح موظفاً بديوان الأوقاف، ومن عام 1912م إلى عام 1914م ظل يكتب مقالات نقدية في مجلة "عكاظ" ثم توجه خلال الحرب العالمية الأولى إلى التدريس في المدارس الحرة.¹

وكان العقاد واسع الثقافة والمعرفة، قوي الشخصية، شديد الرأي، واضح البيان رائع الأسلوب، متعدد الجوانب، فكان الكاتب السياسي والناقد المؤرخ والشاعر. وقد نال العقاد في

¹ الشوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر، ص: 136. و واضح رشيد الندوي، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ص: 136.

سنة 1960م جائزة الدولة التقديرية بأعماله الأدبية، ومازال يخدم الأدب العربي والثقافات الإسلامية حتى وافاه الأجل في سنة 1964م.

مؤلفاته في الأدب العربي:

يبلغ عدد كتبه نحو ستين تأليفاً. كلها تمتاز بحيوية التفكير.

1. ابن الرومي
2. مطالعات في الكتب والحياة.
3. مراجعات في الآداب والفنون.
4. الفصول
5. يسألونك
6. رجعة أبي العلاء
7. هذه الشجرة
8. أنا
9. ساره
10. إبليس
11. هدية الكروان
12. وحى الأربعين
13. عابر سبيل
14. أعاصير مغرب
15. بعد الأعاصير
16. اليوميات
17. الحضارة الغربية وغيرها

محمود تيمور (1894- 1973م)

هو أديب معروف ولد في سنة 1894م في "درب سعادة" بمدينة "القاهرة". وكان والده تيمور باشا من المغرمين بجمع الكتب والمخطوطات، ومن العلماء الماهرين في اللغة والأدب والتاريخ. وتيمور من أصل كردي عربي. كانت له ضياع وأملاك، وأنفق هذه الثروة في شراء الكتب وأنشأ مكتبة قيمة وكان منزله منتدى الأدب والعلم، ففي هذا الجو

العلمي نشأ محمود وأخوه محمد وانتظم محمود في المدرسة الابتدائية ثم الثانوية وكان أبوه يرعاه. وكان راغبا منذ طفولته بكتب الأدب، ثم مال إلى القصة ثم أصدر الأخوان صحيفة منزلية. وإنه سافر إلى فرنسا وسويسرا فاطلع على الأدب الفرنسي من قريب، وقرأ الأدب الروسي عند "نور حنيف" و"تشيخوف" وأمثالهما وقرأ الآداب الغربية المختلفة.¹

إنه كتب لمجتمعه ما يوافقه، وأنتج الكثير من القصص التي تحلل طبائع الأفراد وسلوك النفس وشملت أعماله أنواعا مختلفة، وأنماطا متعددة. وظل يشتغل بالكتابة حتى توفي 1973م.

مؤلفاته في الأدب العربي:

1. كل عام وأنتم بخير
2. مكتوب على الجبين
3. شفاه غليظة
4. إحسان الله
5. شباب وغانيات
6. فرعون الصغير
7. أبو الشوارب
8. قلب غانية
9. دنيا جديدة

قصص مطولة:

1. كليو باتره في خان الخليلي
2. سلوى في مهب الريح
3. نداء المجهول
4. شمروح
5. حلو ومر

¹ شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر، ص: 299. وواضح رشيد الندوي، أعلام الأدب العربي الحديث.

وكذلك له كثيرة من المؤلفات من الصور والخواطر والقصص التمثيلية والدراسات اللغوية والأدبية وغيرها.

الدكتور طه حسين 1889-1973م

هو أديب كبير، ولد سنة 1889م في قرية في صعيد مصر على مقربة من مدينة "مفاغة" التي تقع على الجانب الأيسر للنيل.

فقد طه حسين بصره في الثالثة من عمره، ولكنه عوض عن بصره ذكاء حاداً، وذاكرة قوية، التحق بكتاب في قريته، حفظ القرآن الكريم، ولما أكمل حفظه دخل الأزهر في سنة 1902م. وعكف على دراسة العلوم الدينية واللغوية بها، ولزم دروسه بالشيخ سيد على المرصفي، قرأ فيها "الكامل" للمبرد و"الأمالى" لأبي علي القالي "وحماسة أبي تمام". والتحق بالجامعة المصرية الأهلية في سنة 1908م واستفاد من أساتذتها. أوفدته الجامعة المصرية في بعثة إلى فرنسا في مطلع الحرب العالمية الأولى 1913م. والتحق بجامعةها في مونبلييه في جنوب فرنسا، وظل فيها نحو عام. ثم ذهب إلى باريس عام 1915م. وهناك تلقى العلوم. عاد إلى مصر عقب الحرب العالمية الأولى عام 1919م وعمل أستاذ في الجامعة المصرية، فدرس تاريخ اليونان والرومان.

وفي سنة 1924م تم تعيينه عميد الكلية الآداب في الجامعات المصرية، وعمل بها. وعين مستشاراً فنياً للوزارة. ثم عين مديراً لجامعة الإسكندرية سنة 1950م. ويصبح 1950م وزير التربية والتعليم، وفي سنة 1959م منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب تنويهاً بجهود الأديبة. ومنحته كلية "ترينتي" بجامعة أكسفورد في إنكلترا درجة الدكتوراة الفخرية في الآداب، وتوفي في عام 1973م¹.

مؤلفاته في الآداب العربي:

¹ شوقي ضيف، الآداب العربي المعاصر، ص: 277.

عدد مؤلفاته في الأدب العربي حوالي خمسين منها:

1. الأيام
2. حديث الأربعاء
3. علي هامش السيرة
4. في الأدب الجاهلي
5. فصول في الأدب والنقد
6. من حيث الشعر والنثر
7. من أدبنا المعاصر
8. دعاء الكروان
9. شجرة البؤس
10. القصر المسحور
11. أحلام شهرزاد
12. الأدب التمثيلي
13. رحلة الربيع الصيف
14. مستقبل الثقافة في مصر وغيرها

توفيق الحكيم (1898-1987م)

هو أديب شهير، قد عاصر مصطفى لطفى منفلوطي قليلا. هو ولد في الإسكندرية عام 1898م. حصل دروسه الابتدائية بمدرسة "دمنهور" بمحافظة البحيرة. وأكمل الثانوية في القاهرة. وقد درس على التأليف والكتابة، في عام 1919م انفجرت الثورة المصرية فلم يلبث توفيق أن كتب في عام 1922م مجموعة من المسرحيات كانت منها: المرأة الجديدة، والضيف الثقيل، وعلي بابا. وهي محاولة الأولى الابتدائية. ولم يزل مشغلا بالتأليف حتى توفي 1987م.¹

¹ المصدر السابق، ص: 288.

مؤلفاته في الأدب العربي

1. شهزاد
2. عودة الروح
3. أهل الكهف
4. حمار الحكيم
5. بيجماليون
6. سيلمان الحكيم
7. الملك أوديب
8. السلطان الحائر
9. يا طالع الشجر
10. ليلة الزفاف
11. مسرح المجتمع
12. عصفور من الشرق
13. حماري قال لي
14. السلطان الحائر وغيره.

المجلات والجراند:

قد شهدت فترة المنفلوطي الصحف التالية:

1. المؤيد، للسيد على يوسف سنة 1889م
2. الأستاذ، للسيد عبد الله النديم سنة 1892م
3. المنار، للسيد رشيد رضا، سنة 1898م
4. اللواء، للسيد الزعيم الشاب مصطفى كامل، سنة 1900م
5. الجريدة، لمخرجها أحمد لطفي السيد، سنة 1908م
6. العلم، وهي لسان حزب الوطني سنة 1910م

7. الشعب، لمحررها أمين الرافعي وهي من صحف الحزب الوطني كذلك، سنة 1913م

المؤيد:

إن صاحبها السيد علي يوسف (1863 - 1913م) وقد رفع المؤيد إلى مكان الصدارة في العالم العربي، فأحاطه الخديو عباس برعاية. وقد وجه السيد علي يوسف سياسة المؤيد وجهة خاصة، فجعله بوقا للرأي المحافظ.¹ وكان في نظر خصومه على الأقل يهيج التعصب الديني. والحقيقة إن المؤيد كان أوسع الجرائد العربية انتشارا حتى أطلق عليه (تأيمس الشرق) وقد قامت لعدة أغراض هامة. كان المنفلوطي يكتب لهذه كثيرا.²

الأستاذ:

اختفى النديم خطيب الثورة العراقية مدة لا تقل عن عشر سنوات. ثم ظهر في منتصف عام 1892م على إثر العفو الذي صدر عنه من الخديو عباس حلمي الثاني فرجع إلى كفاحه السابق وأصدر صحيفة باسم شقيقه سماها "الأستاذ" وسياستها ذات أهداف منها:

أولاً- الإصلاح الاجتماعي.

ثانيا- إصلاح التربية والتعليم.

ثالثا- الدفاع عن الشرق ضد أوهم الغرب.

رابعا- مهاجمة الاحتلال البريطاني دفاعا عن الخديو عباس الثاني.

خامسا- الحملة على المبشرين المسيحيين.

سادسا- الدفاع عن اللغة العربية باعتبار أنها اللغة القومية والدعوة إلى تدريس المواد

كلها بالمدارس باللغة العربية والدعوة.

¹ عمر الدسوقي/ في الأدب العربي الحديث، ص: 415.

² الدكتور عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر، ص: 101، مطبعة المعارف بغداد 1967م.

إنها قد سجلت التاريخ في الأدب العربي.¹

المنار:

قد ظهرت هذه المجلة في مارس 1898م، وكان صاحبها محمد رشيد رضا وهدفه بهذه المجلة هو الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة المسلمة، والدفاع عن الإسلام وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام وإقلاع ما ينسب إليه من الخرافات.

قد انتشرت هذه المجلة انتشارا واسعا في العالم الإسلامي في سنوات، واشتهر اسم صاحبها حتى عرف باسم رشيد رضا صاحب المنار، وعرف الناس قدره وعلمه وصار ملجأ لهم فيما يعرض لهم من المشكلات وأصبحت مجلته المجلة الإسلامية الأولى في العالم الإسلامي ومرجع في التأليف بين الشريعة والعصرالراهن. وأفردت المنار أقساما لأخبار الأمم الإسلامية، والتعريف بأعلام الفكر والحكم والسياسة في العالم العربي والإسلامي، وتناول القضايا العربية في المغرب والجزائر والشام والهند.

اللواء:

إني قد عرفت أن اللواء في أول زمنها كانت تميل إلى فرنسا، وكانت فرنسا هي الأخرى تتقرب إلى مصطفى كامل لأن في هذا التقرب تعويضا لها عن الهزيمة التي لحقتها في معركة احتلال مصر فلجأت إلى تعويض الهزيمة بتأييد الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل.

لها عدة أغراض فيما يلي:

أولاً- الدفاع عن الدين الإسلامي ضد هجمات الاستعمار.

ثانياً- الدفاع عن فكرة الجامعة الإسلامية باعتبار الطريق الوحيد للتخلص من الإنكليز.

ثالثاً- تنشيط الحركة الوطنية بكل الذرائع الممكنة والدعوة لها في داخل القطر وخارجها.

¹ المصدر السابق، ص: 103.

رابعاً- العناية التامة بالإصلاح الاجتماعي. وإن كانت اللواء لم تؤيد الحركة التي قام بها قاسم أمين لتحرير المرأة، على حين أن المؤيد ساعدتها.

خامساً - تخليص المصريين من اليأس الذي ملأ نفوسهم بإزداد النفوذ البريطاني.

وإن اللواء قد تركت آثاراً قيمة في الآداب العربية.¹

الجريدة:

في العام الأخير من عهد كرومر وقعت ظاهرة غريبة في تاريخ الصحافة المصرية، وهذه الظاهرة هي نشأة الأحزاب السياسية في داخل الصحف الوطنية، ومن المعلوم أنها تنشأ في أحضان الأحزاب السياسية. وفي سبب ظهورها قيل إنها حادثة وقعت يومئذ وكان لها تأثير في نفوس المصريين، وهو حادث العقبة، فكان من رأى لطفي السيد وجماعته أن تنشأ جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها تأثير بتركيا وغيرها. ولها خدمات جليلة للشعب واللغة العربية.

الشعب:

إن هذه الصحيفة قد ظهرت في سنة 1913م وهي السنة التي شهدت في تاريخ مصر حدثاً من الأحداث الهامة في المجال الدستوري. قصارى القول أن الخديو عباس حلمي الثاني- بضغط من الوطنيين وأصحاب الصحف وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية- أصدر ما يسمى (بالقانون النظامي) وبمقتضى هذا القانون ألغى المجلسين السابقين ليحل محلها مجلس جديد باسم الجمعية التشريعية غير أن هذه الجمعية لم تحقق رغبات البلاد بل ظهر أنها لعبة في يد الاحتلال ولم يكن لأعضاء هذه الجمعية حق محاسبة الوزراء. و أمين الرافعي في هذه الجريدة كان يقول بجرأة موجهها كلامه إلى الحكومة

¹ المصدر السابق، ص: 106.

"أعطونا حق إسقاط الوزارة وخذوا لأنفسكم حق حل الجمعية التشريعية. هذه الجريدة قد لعبت دورا بارزا في خدمة الأدب العربي والشعب المصري.¹

الباب الثاني

مصطفى لطفى المنفلوطي: حياته وأعماله

¹ المصدر السابق، ص: 113.

الفصل الأول: مولده ونشأته

الفصل الثاني: أعماله الأدبية

الفصل الثالث: المنفلوطي كما يراه النقاد

الفصل الأول

مولده ونشأته:

ولد مصطفى بن محمد بن حسن بن محمد بن لطفي المنفلوطي في فجر العاشر من ذي الحجة سنة 1293هـ الموافق 30 من ديسمبر سنة 1876 من الميلاد في مدينة "منفلوط" إحدى بلدان مديرية "أسيوط" في مصر، من أبوين كريمين ينتهي نسب أحدهما إلى الحسين

بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وثانيهما إلى أسرة جوربجي التركية المعروفة بالشرف العظيم والمجد المؤتلف.

وأسرته في مدينة "منفلوط" أسرة مشهورة من نحو مائتي سنة بالشرف والتقوى والعلم والفضل، وأكثر أفرادها ما زالوا ينالون مناصب علياء مثل القضاء والنقابة وكان والده السيد محمد لطفي قاضيا شرعيا في منفلوط، ولذلك لقب المنفلوطي بـ "السيد" وأما شهرته بـ "المنفلوطي" فنسبته إلى المنفلوط التي ولد فيها¹.

تعليمه:

نشأ كاتبنا الكبير في بيت علمي وفي بيئة دينية وأدبية عربية، التحق بمكتب جلال الدين السيوطي الذي كان يشرف عليه محمد رضوان، أحد الفقهاء الذين كان لهم الفضل في تربية كثير من علماء اسيوط وأدبائها، وما بلغ السنة الحادية عشرة من عمره حتى أتم حفظ القرآن الكريم بانتظام دون إعادة مرة أو اثنتين لبعض أجزائه كما يفعل كثير من الحفظة والمستظهرين وقد تهيأ لمصطفى في مرحلة صباه من الظروف ما حبب إليه الأدب ووجهه إلى الكتابة.

فقد كان يتردد إلى منزل صديق أبيه الأديب والشاعر عبد الله هاشم الذي كان يعجب به المنفلوطي في صغره وتأثر به كثيرا.

ثم انتقل إثر ذلك إلى القاهرة فدخل الأزهر ليتم تعليمه فيه ولكنه وجد من طريق تعليمه ما لا يتلاءم رغبته الأدبية التي كان يريد تغذيتها بثمرات قرائح الكتاب والشعراء العرب الذين خلفوا من التراث الأدبي ما يعد مفخرة للشرق، لذلك لم يئس من إرواء غلته بما كان يدرس صباحا ومساء في الأزهر، وأخذ يتحين الفرص لمطالعة الكتب الأدبية ويختلس قراءتها وسط دروس، كان يختفي من أساتذته الذين كانوا يمنعون ويضربونه إذا ظفروا بكتاب أدبي معه، ولكنه على الرغم مما كان يلقاه من تعنيف أساتذته وجفاء الجو الذي كان يحيط به، لم تضعف عزيمته عن مواصلة الجد في الاطلاع على أحسن ما خلفه العرب من

¹. أحمد الشنواني، الخالدون من أعلام الفكر، ص: 195، الجزء الشرقي، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة، الطبعة الأولى، وشوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص: 227، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

منظوم ومنثور في المنزل والشارع أو في الحقائق والغناء وعلى ضفاف الغدائر الحسناء¹.
ولما بلغ المنفلوطي السادسة عشرة من عمره، قرض الشعر فهذا الصنف كان أول ما
ظهرت فيه بؤادر نبوغه لكثرة ما كان يطالعه ويحفظه من قصائد كبار الشعراء المشهورين
ولكنه ما لبث أن هجر الشعر ولزم النثر فكان شأنه فيه شأن الخالدين.
ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره، نظم قصيدة طويلة يبلغ عدد أبياتها مئة وخمسة أبيات، ندد
فيها بالاحتلال وضمنها في كتاب جعله بإمضاء "عدو الاحتلال" وكان مطلعها:

ألا راية للعدل في مصر تخفق
لعل مساعي دولة الظلم تخفق

قد تكلم في هذه القصيدة عن مصطفى باشا فهمي ولذلك لما نشرت قصيدته هاجت الدنيا
وأخذوا يبحثون عن ناظمها ولكنه أفلت منهم في هذه المرة ولم تعرف أنها له، وبذلك يقال إنه
كان وطنيا صميما يمقت الاحتلال، وطعن فيه من وراء الستار، وبعض الأحيان هذه الوطنية
أوصله إلى تشدد وتطرف، وذلك أنه لما عاد الخديو عباس من الآستانة بعد سفره إليها في
بعض المناسبات، نظم قصيدة في استقبال سموه كان مطلعها:

قدوم ولكن لا أقول سعيد
وعود ولكن لا أقول حميد

فلما نشرها واطلعت عليها الحكومة، أمرت بالقبض عليه، فحكم عليه بالحبس ستة أشهر،
قضاها في غيابة السجن، كان لا يوجد أحد أن تجرأ للدفاع عنه غير الشيخ نجيب الحداد الذي
دافع عنه في جريدته "لسان العرب".

وفي أثناء ذلك اتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (1905م)، إذ كان فريدا في عصره
وكان يفسر القرآن الكريم بأسلوب جديد ينفذ إلى القلوب والبصائر، ويدرس لطلابه "أسرار

¹. أحمد الشنواني، الخالدون من أعلام الفكر، ص: 191.

البلاغة" و "دلائل الإعجاز" كتابي عبد القاهر الجرجاني (المتوفى عام 471هـ) في علم البلاغة. فأنزله بين تلاميذه منزلة رفيعة لما رآه من نبوغه وعبقريته، هكذا اجتذبت حلقه الإمام محمد عبده، ووجد في تلك الحلقة ما افتقده في الحلقات الأخرى من التوجيه والرعاية والتشجيع والإغراء مما جعله يكثر من مصاحبته له في دروسه ويلازمه في مجالسته طول مكثه بـ "الأزهر" وكان بسبب صحبته للإمام محمد عبده أثر عميق في تفكير وتحديد أهدافه¹.

وخلال هذه المدة إنه قرأ أمهات الكتب الأدبية والعلمية والنقدية ودواوين الشعراء مثل "العقد الفريد" لابن عبد ربه (328هـ) و"الأغاني" للأصفهاني (356هـ)، و "زهر الآداب" للقيرواني () و "مقدمة لابن خلدون (808م)" ، و"دعوى الأدب" للآمدي و "فصاحة القرآن" للباقلاني و "إعجاز القرآن" للقاضي عياض ودواوين الشعراء مثل ديوان للمتنبى (354هـ)، والبحثري (284هـ) وأبي تمام (231هـ) والشريف رضي (404هـ)، هذه القراءات أثرت في شخصيته أثرا عميقا وأعطته فكرا سليما قويا وكان متمسكا بالدين الإسلامي الحنيف المتوازن وقيمه الإنسانية وتراث أدبي خالد ذهبي².

وبالجملة كان يقرأ كل ما يعثر عليه من كتب التراث القديم شعره ونثره وما أنتجته القرائح في الأدب العربي الحديث وكما ذكرت نزعته الأدبية الخاصة من خلال مكثه في الأزهر وعندما كان المنفلوطي حينذاك طالب في الأزهر كان شغوفاً وحريصاً على الأدب واللغة بالنسبة إلى علوم الدين ولم يكن يطلب التعمق في الدين إنما كان يطلب الأدب لذا بدأ يختلف إلى دروس محمد عبده كما بدأ يقرأ كتب القدماء ودواوينهم فهو يقرأ ابن المقفع (142هـ) والجاحظ (255هـ) وبديع الزمان الهمداني (398هـ) كما يقرأ النقاد الأمدي والباقلاني وعياض وغيرهم ممن تناولوا وصف الكلام الجيد وممن وقفوا عند إعجاز القرآن وجمال أساليبه.

¹ عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، ص: 147، دار الفكر العربي، القاهرة، وأحمد الشنواني، الخالدون من أعلام الفكر، ص: 193، و الدكتور إبراهيم عوض، المدخل الإسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر، ص232.

² شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر، ص: 228.

كان المنفلوطي مولعا بالأدب في مرحلة صباه طبيعا كما أنه نشأ في أسرة عريقة وفي بيئة أدبية خالصة، وقد وهب الله له الظروف التي حملته على حب الأدب ورجاله كما كتب إبراهيم عوضين في كتابه "المدخل الإسلامي": "وقد هيا المصطفى في مرحلة صباه من ظروف ما حبب إليه الأدب ووجهه إلى الكتابة وإضافة إلى ما سبق أعان المنفلوطي على إشباع رغبته الأدبية ما تهيأ له في ظل أسرته من حياة معيشية طيبة لم يشعر معها بالحرمان، فقد كان والده قاضي منفلوط الشرعي وواحدا من أبرز رجالها وكانت أسرته معروفة بالشرف والتقوى والعلم والفضل ما كفل له لونا من الحياة المتسمة بالهدوء والاستقرار النسبي وانطلق مع هواياته الفنية التي ظهرت في أثناء دراسته بالأزهر فيما قدم من شعرا تلفت إليه الأنظار"¹، وكان سببا في دخوله السجن، حين هجا الخديوي عباس الثاني بقصيدته الشهيرة التي قال في مطلعها ب:

قدم	ولكن	لا	أقول	سعيد
وملك	وإن	طال	المدى	سيبيد

العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية المنفلوطي

ومن الأسباب الرئيسية في تكوينه كاتبا أدبيا ومفكرا وصحفيا معروفا هي الصلة بالأدباء والمفكرين الإسلاميين وغيرهم من القرن التاسع عشر الميلادي كمثل الإمام محمد عبده، وسعد زغلول (1927م)، والسيد علي يوسف (1913م)، قد استفاد المنفلوطي من هؤلاء الثلاثة استفادة فكرية وأدبية وعلمية وكان يتبع في حرص كتابات أستاذه الشيخ محمد عبده والكتاب المعاصرين له، وبخاصة ذوالفكر منهم، ويقرأ الكتب المترجمة وبخاصة القصص المترجمة على اختلاف أنواعها وقد أعجبه القصص الرومانسية².

ثم اتصل بسعد زغلول ومحمد عبده والسيد علي يوسف صاحب الصحيفة "المؤيد"، وقد كان لهؤلاء الثلاثة أثر كبير في شهرة المنفلوطي ودفعه إلى الطريق الذي اختاره لنفسه وهو

¹. "المدخل الإسلامي" للدكتور إبراهيم عوض، ص: 232-233.

². عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، ص: 185.

طريق الأدب والإصلاح الاجتماعي خاصة رعى سعد زغلول المنفلوطي رعاية مثل أبيه الحنون وساعده في أيامه القاسية وظروفه المضطربة بعد وفاة شيخه الإمام محمد عبده سنة 1905م، من حيث عاد المنفلوطي إلى بلده محزونا وكئيبا وشغل نفسه بقراءة الصحف مثل "الأهرام" والمؤيد والظاهر والمقطم والمقتطف. وكان مجلسه في منفلوط مقصد كثير من أبناء الذين كانوا يفتنون إليه لسماع ما حملته الصحف من أبناء ولتزويد بما يقرأ عليهم من كتب الفقه والأدب، حتى تحول مجلسه إلى ندوة أدبية علمية، تبدأ من الثامنة والنصف وتنتهي إلى الثانية عشرة ظهرا، ثم في الساعة الخامسة مساء حيث تمتد إلى وقت متأخر من الليل وفي أثناء مقامه بمنفلوط كان يرسل إلى صحيفة "المؤيد" مقالاته تحت عنوان "أسبوعيات" وقد أعجب سعد زغلول - ناظر المعارف - بالمنفلوطي وكتابته مما هيا له أن يحصل على وظيفة "المحرر العربي" التي عمل فيها إلى ترقية الأساليب الكتابية وتهذيبها حتى عين سعد زغلول وزيرا للحقانية في وزارة محمد سعيد باشا في فبراير سنة 1910م ثم نقل السيد المنفلوطي إلى وظيفته في وزارة الحقانية ثم أصبح سعد زغلول وكيلا للجمعية التشريعية سنة 1913م حيث حرص سعد على نقل المنفلوطي معه ليكون في ضمن أمناء سر الجمعية التشريعية (سكرتيرها) ثم انتقل سعد إلى وزارة العدل فنقله ولكن لم يستمر في الوظيفة ثم عينه سعد رئيسا لطائفة من الكتاب في مجلس الشيوخ بعد افتتاح البرلمان في سنة 1922م ولكن لم يمهل القدر إذ سرعان ما لبى نداء ربه.

فيتضح من هنا أن سعد زغلول كان حريصا على أن يصحب المنفلوطي في كل ميدان حفاظا على الرجل وثقة به وإعجابا بكتابته واطمئنانا على خلقه¹.

زواجه:

تزوج المنفلوطي للمرة الأولى في سن مبكرة، وهو طالب في الأزهر بالسيدة "أمينة أبو بكر الشيخ" وهي من منفلوط، ومن أسرة غنية، وتوفيت سنة 1910م وورث عنها بعض الأراضي الزراعية، ثم تزوج بعد ذلك بسيدة قاهرية هي "رتيبة حسنى" وقد أنجب

¹. إبراهيم عوض، المنخل الإسلامي، ص: 233، وشوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر، ص: 228.

المنفلوطي من زوجتيه البنين والبنات ولكن بعض أبنائه ماتوا صغارا، فرثاهم رثاء حارا يدل على قوة تأثيره بفقدهم كما أنه كان يتسم بالتواضع وهدوء الطبع والعفة ورقة الشعور وحب الناس والكرم وحسن الضيافة، لأنه كان صاحب مجلس يفد إليه الكثيرون¹.

أخلاقه:

كان مصطفى لطفى المنفلوطي متصفا بالخلق العظيم مع أنه كان متصفا بالانقباض عن الناس والوحشية التي يحسبها الناس صلفا أو كبرا ولكنه في الحقيقة ما هو بالصلف والكبر بل تصدر هذه الأشياء منه بالرزانة، وكان يبعد عن مخالطة الناس بسبب أخلاقهم التي لا تعجبه، وكان قانعا بما في يده من المال القليل ولم يسأل الناس أجرا على كتاباته ولم ينتفع بقصائده، وكان شهيرا في باب العفة والشهامة حتى لم يأخذ طوال عمره شيئا على الأدب.

وكان المنفلوطي طويل الصمت يحسبه الناظر عيا، لا يتكلم كثيرا إلا أحيانا وكان إيمانه قويا جدا لا تذهب به العواصف، ولا تلوي به حوادث الدهر، وكان المنفلوطي ليس ضعيفا في الثقة بالله في حالة عسره ويسره وشدته ورخائه، وكان يتذرع في جميع الأحوال بالصبر².

سياسته:

وكان المنفلوطي ليس له حزب سياسي خاص ينتمي إليه، وسياسته سياسة كل وطني يتهاك وجدا على وطنه، ويذري الدمع حزنا عليه وعلى ما حل به من ضيعة المال وفقدان الاستقلال، وكان يقول عن هذا الموضوع "لو علمت أن حياة مصر لا يتم لها إلا بفقدان حياتي لكان سبيل الموت أشهى إلي من سبيل الحياة" ويرى أن تعددها مضر بمصلحة الوطن وأنه يجب أن تكون الأمة كلها جماعة واحدة، وأما الجرائد فكان رأيه أنها تبالغ في إرضاء الأمة وممالاتها على كل نافع وضار من شؤونها، وهذه تشبه أن تكون متاجرة بالعقول والأخرى تقسو في إرشادها وهذه لا تستفيد منها الأمة كما يجب أن تكون فهو يرى

¹. مصطفى لطفى المنفلوطي، النظرات، التقديم، طه وادي، ص: 32، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، الطبعة الأولى، عام

1991م.

². محمد محمد عبد الفتاح، أشهر مشاهير أدباء الشرق، ص: 182-183، المكتبة المصرية، الطبعة الأولى.

أن الأمة لا تزال حتى اليوم في أشد حاجة إلى قائد شديد الإخلاص في عمله، جم الحكمة في قوله، وليس بينه وبين جريدة من الجرائد علاقة خاصة، حتى الجرائد التي كان يكتب فيها رسائله مطلق الحرية في أية صحيفة يتوسل بانتشارها إلى نشر آرائه وأفكاره، فإن لاقاها في شئ من مبادئها ومذاهبها لاقاها مصادفة، واتفقا، وإن فارقتها في ذلك فارقتها طوعا واختيارا¹.

وفاته:

أصيب بشلل بسيط قبل وفاته شهرين فنقل لسانه منه عدة أيام فأخفى نبأه عن أصدقائه ولم يجاهر بألمه ولم يدع طبيبا لعيادة، لأنه كان لا يثق بالأطباء، ورأيه فيهم أنهم جميعا لا يصيبون نوع المرض، ولا يتقنون وصف الدواء، ولعل ذلك كان السبب في عدم إسعاف التسمم البولي الذي أصيب به قبل استفحاله، فقد كان قبل إصابته بثلاثة أيام في صحة تامة لا يشكو مرضا، ولا يتمل من ألم .

وفي ليلة الجمعة السابقة لوفاته كان يأنس في منزله إلى إخوانه ويسامرهم ويسامرونه ، وكان يفد إليه بعض أصدقائه والموسقيين والساسة، حتى إذا قضى سهرته معهم وانصرفوا إلى بيوتهم، ومخادعهم وانصرف هو إلى مكتبه فيبدأ عمله الأدبي في نحو الساعة الواحدة بعد نصف الليل، ولكنه ما كاد يمكث طويلا حتى أحس بتعب أعصابه وشعر بضيق في تنفسه، فذهب إلى فراشه ونام، وأدار وجهه إلى الحائط، وكان صبح عيد الأضحى قد أشرفت شمسه ودبت اليقظة في الأحياء، فدب الموت في جسمه في سكون، وارتفعت روحه مطمئنة إلى السماء بعد أن عانت آلامها على الأرض سنة 1924م، وتوفي المنفلوطي في اليوم الذي أصيب فيه زعيم الشعب سعد زغلول فلم يحفل به كثير من الناس لهول إصابة سعد زغلول إلا محبيه، وبعدها اطمأنوا على سعد زغلول، توجهوا له بعد وفاته وذكروا مآثره التي تركها بين الناس².

أدبه:

¹. محمد محمد عبد الفتاح، أشهر مشاهير أدباء الشرق، ص: 185.

². ويكيبيديا الموسوعة الحرة، على شبكة انترنت، مصطفى لطفي المنفلوطي، <https://ar.wikipedia.org/>

إن كاتبنا وشاعرنا مصطفى لطفى المنفلوطي أديب موهوب ومفكر إسلامي وكاتب اجتماعي، إنه عنى بالقضايا الاجتماعية والإنسانية والسياسية والدينية، وقد بذل جهوده وحياته في تحقيق القيم الإنسانية في المجتمع المصري عامة والقيم الإسلامية خاصة، ومؤلفاته خير شاهد ودليل عليه ونظرا إلى هذا إنه دعا الأغنياء والحكام من الجور إلى العدالة والسماحة والرحمة بالإنسانية، حتى ظن بعض الناس أنه من الاشتراكيين والحال ليس كذلك بل كان دعوته إلى الاشتراكية الإسلامية السمحة وإلى القوانين الإسلامية وهي المساوات بين المواطنين في أداء حقوقهم وأن يعيش الناس آمنين مطمئننين من الخوف والتعدي وسالمين من الظلم والطغيان حتى لا يستطيع القوي أن يأكل الضعيف ولا يتعدى الغني الظالم على الفقير المظلوم كما ذكر شوقي ضيف في كتابه "الأدب العربي المعاصر" تعليقا على كتابه "النظرات":

"تمتاز هذه المقالات بميزتين أساسيتين: ميزة تتناول الشكل وميزة تتناول الموضوع، أما من حيث الشكل فإنها كتب في أسلوب نقي خالص ليس فيه من العامية ولا من أساليب السجع الملتوية إلا ما يأتي عفوا، فقد قرأ المنفلوطي واستوعبه ما قرأ، ولم يكتف بأن يعيش على كاتب قديم بعينه مثل ابن المقفع أو الجاحظ أو بديع الزمان، بل حاول أن يكون له أسلوبه الخاص به حقا تلمع في كتاباته أثار القدماء، فقد تحس أحيانا أنه يحتذي نثر الجاحظ أو نثر بديع الزمان، ولكن ما يحتذيه أو ما ينقله يدخل في كيان تعبيره بحيث يصبح كأنه ما كتبه يعاد خلقه من جديد، وكأنه عملة خاصة به، وهي ليست عملة مزيفة، وإنما هي عملة صحيحة تنبع من فكره وقلبه، وتعطيه سماته الخاصة به، فتقرأه ولا تلبث أن تقبل عليه، لأنك تجد عنده ما يحدث لذة فنية في نفسك، إذ يقدم لك أثرا أدبيا حقيقيا يمس قلبك، ويثير عاطفتك، وهذا من حيث الشكل، أما من حيث الموضوع فقد اختار الحياة الاجتماعية لبيئته، واتخذ ينبوعا لأفكاره وتحول فيها تأثير أستاذه محمد عبده إلى مصلح اجتماعي، فهو يردده آراء المصلحين من حوله ويؤديها بلغته التي تأسر السامع وتخلب لبه.¹

¹ شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر ، ص: 230

الفصل الثاني

الأعمال الأدبية

آثاره:

الكاتب والشاعر المنفلوطي قد ترك آثارا أدبية من القصص والمقالات، بعض القصص موضوعة وبعضها مترجمة وكذلك قد ترك أشعارا رائعة.

فله ثماني مؤلفات أدبية معروفة (1) "أبيات ومنظومات رومانسية": هي مكتوبة في بداية نشأته الأدبية (2) كتاب "النظرات": وهو مختار ما كتبه الكاتب من الرسائل في جريدة المؤيد أو غيرها من الجرائد تحت عنوان "النظرات" أو غيره من العناوين وما كتبه من الرسائل ولم ينشره، وما نظمه من المقطعات، والقصائد الشعرية متفرقا في الجرائد

والمجلات¹. ويتضمن هذا الكتاب ثلاثة أجزاء وقد طبع في العام 1910م. (3) "مختارات المنفلوطي": هذا الكتاب عبارة عن مختارات أدبية من عصور الأدب المختلفة، وهي منتخبات شعرية ونثرية، اختارها المنفلوطي من أدب الأدباء العرب، ليكون في يد الجيل الناشئ وسيلة لتثقيف ذوقهم الأدبي وهذا الكتاب صدر في 15 مارس سنة 1912م².

(4) "ماجدولين" أو "تحت ظلال الزيزفون" رواية للكاتب الفرنسي "الفونس كار" وقد ظهرت هذه الرواية في تعريب المنفلوطي لها في مرحلتين، حيث ظهر بعضها في 15 مايو سنة 1912م ملحقاً بكتاب النظرات الذي صدر في نفس التاريخ، وقد كتب المنفلوطي بين يديها أنها مأخوذة عن رواية "الفونس كار"، وذكر بعد تقريره لها أن طريفته في تعريبها كانت تقوم على الاستماع إلى صديقه العالم الفاضل "محمد فؤاد بك كمال" الذي كان ما يملئ عليه ترجمة أغراضها ومعانيها، ثم يعود المنفلوطي إلى كتابة ما يملئ عليه بكثير من التصرف، ما بين زيادة وحذف وتقديم وتأخير، وتمت للمنفلوطي أمنيته، حيث أصدر الرواية كاملة في كتاب مستقل. وقد أحدث هذه الرواية بعد صدورها دويًا نتيجة إعجاب القراء بها. وقد وجه الشيخ عبد العزيز البشري رسالة نشرت بالأهرام في 18 نوفمبر سنة 1917م ضمنها إعجابه الشديد بـ "ماجدولين المصرية"³.

(5) "العبرات": ظهر هذا الكتاب سنة 1915م، وهو مجموعة قصص، بعضها موضوعة وبعضها مترجمة، ويرد المنفلوطي كتابة القصة وفقا للقواعد الفنية، لأنه جعل القصص وسيلة إلى معالجة الموضوع والتأثير في المشاعر، وبت الأفكار والآراء.

(6) "في سبيل التاج": هذا الكتاب قصة صدرت في أول يونيو عام 1920م، وهي عبارة عن تلخيص وتحوير "لمسرحية فرانسوكبية في سبيل التاج" وقد أعاد المنفلوطي كتابتها بطريقته بعد أن ترجمها له صديقه "محمد كمال" على النحو السابق في رواية "ماجدولين".

¹- محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص59، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، عام 2000م.

²- المصدر السابق، ص60.

³- المصدر السابق، ص61.

(7) "الشاعر": هي خلاصة المسرحية التي قدمها "آدمون روستان" الشاعر الفرنسي العظيم، تحت عنوان "سيرانودي برجرانك" وهي واحدة من روائع المسرح العالمي.

وكان المنفلوطي قد أراد أن يهذب الترجمة التي قدمها "الدكتور محمد عبد السلام الجندي" لإحدى القرف المسرحية وعن هذا المصدر أخذها المنفلوطي. وطبع مايو عام 1921م.

(8) "الفضيلة": هي قصة أخذها المنفلوطي عن قصة "بول وفرجينى" للكاتب الفرنسي الشهير "برناردين دي سان بيير" وقد اعتمد المنفلوطي في تعريبه لها بطريقته على ترجمتين سابقتين، هما ترجمة عثمان جلال، وترجمة فرح أنطون.

وقد صدرت هذه القصة للمنفلوطي سنة 1923م، وهي آخر أعماله الأدبية، والقصة لدى مؤلفها الأصلي تمجد الطبيعة، وعند المنفلوطي تمجد الفضيلة.

(9) وهناك مجموعة أخرى قد جمعها "علي شلش" وقد نشرها من لندن باسم "سلسلة الأعمال المجهولة لمصطفى لطفى المنفلوطي" وقد ذكر قصة طريفة عن نشره في المقدمة، أنه قد وجد هذا الكتاب في المكتبة، وكان يعد هذا الكتاب من الكتب القديمة التي يشتريها المرء ولا يلمسها باليد ويحفظها كأنها قطع أثرية، لكن بعد زمان ظهر عليه أن المؤلف هو المنفلوطي، فقرر أن يتحقق من الأمر بنفسه، وقد وجد بعض أجزاءها في النظرات وقد ذكر بعض المقالات منه محمد أبو الأنوار في كتابه عن المنفلوطي: حياته ونثره وشعره في ثلاثة أجزاء.

فيقول عن هذا البحث "وحيث بحثت فيه عن سر ذلك الكتاب المنفلوطي المجهول وجدته مجلوا بما لا يدع مجالاً للشك"¹.

ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء، الأول: القضية المصرية 1921-1933م، والثاني: "كلمات المنفلوطي" قد جمعها وحققها أحمد عبيد والثالث: كلمات الأدباء والشعراء وهو أيضا جزء من الكتاب "كلمات المنفلوطي".

¹ مصطفى لطفى منفلوطي سلسلة الأعمال المجهولة لعللي شلش، ص: 10، رياض الريس لكتب والنشر، لندن، 1987م.

أما الجزء الأول "القضية المصرية" وهو أصل الكتاب – فهو يشتمل على مقالات سياسية التي كتبها المنفلوطي في الصحف والجرائد في زمانه ، وفيه عشر مقالات (1) العاصمة (2) إلى خصوم سعد باشا (3) اليوم الأسود (4) جريمة الانشقاق (5) عبرة الدهر (6) إلى أعدائنا (7) إلى سعد باشا في منفاه (8) في أي سبيل هذا؟ (9) ثم ماذا (10) تحية الرئيس.

وهذا الكتاب وثيقة أدبية مثلما هو وثيقة سياسية ، وهو وثيقة أدبية تتعلق بإنتاج المنفلوطي من ناحية وهو أيضا وثيقة سياسية تتعلق بوطنية المنفلوطي وعصره من ناحية أخرى ويعين هذا الكتاب المجهول في فهم سياسة المنفلوطي وما يتعلق بها فيقول في مقال "إلى أعدائنا": "هل تستطيعون أن تتابعوا بأموالكم الكثيرة التي لا حد لها قلما مصريا صميما يتولى نشر دعوتكم ، وتأييد سياستكم ، كما تفعلون في كل مكان حتى في أوروبا وأميركا ؟ إذن أنتم ضعفاء نحن أقوياء، ولنا أن نفخر بهذه القوة التي نعتمد فيها على نشر أخلاقنا وعزة نفوسنا ومثانة عقيدتنا وشدة إخلاصنا لوطننا، وليس لكم أن تفخروا بتلك القوة التي تعتمدون فيها على السيف والنار كما كان يفعل "الهون" في أوروبا و "المغول" في آسيا لأنها أقرب إلى صفات الوحشية وغرائزها، منها إلى روح المدنية ومزاجها نعم. إنكم اعتقلتم سعد باشا، ولكن بعد أن صرع زعمائكم وقادتكم في ميدان السياسة وأفسد عليكم تلك المؤامرة العظمى التي كنتم تريدون بها اعتقال مصر واستعبادها إلى الأبد فقد صودر سعد باشا واعتقل ، ولكن مصر قد نجحت"¹.

وقد ذكر محمد أبو الأنوار في كتابه أن هناك عمل آخر قام به المنفلوطي، هو تصحيحه لكتاب "كليلة ودمنة" ، حيث كان يقوم بتحقيقه وإعداده للطباعة الأستاذ أحمد حسن طيارة.²

أنواع القصة للمنفلوطي

¹ مصطفى لطفى منفلوطي، القضية المصرية المقال "أعدائنا" المجموعة سلسلة الأعمال المجهولة لعللي شلش، ص: 79، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1987م.

² محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 53، الدار المصرية اللبنانية، 1999م.

وإن أعمال المنفلوطي القصصية من حيث مصدرها نوعان: أحدهما نوع أساس فكرته وأهم أحداثه من أصل أجنبي، فيتمثل في روايته التي ترجمت له أحداثها والتي تعد من نوع الرومانسي وقد أعاد المنفلوطي كتابتها بطريقته وأسلوبه وتصرف فيها بالحذف والزيادة والتعديل ، وقد جعلها عملا جديدا أو كالجديد، وتلك الروايات هي "الفضيلة" التي أساسها "بول وفرجيني" و"ماجدولين" التي أصلها "تحت ظلال الزيزفون" "الشاعر" التي يرجع أصلها إلى "سيرانوبرجراك" و "في سبيل التاج" التي أصلها مسرحية شعرية "الفرانسوا كوبيه" وقد قدمها المنفلوطي من جديد في شكل روائي ، وحول شعرها وحوارها إلى سرد نثري بأسلوب خاص.

ومن هذا النوع بعض تلك القصص القصيرة التي ضمنها "نظراته" و"عبراته" وهي في الأصل روايات أجنبية، وحفظ المنفلوطي فكرتها وتصرف فيها بأسلوبه الخاص، مثل "الذكرى" التي أصلها "آخر ملوك بني سراج" لـ "شاتوبريان" و "الشهداء" التي أصلها "أتالا" للكاتب الفرنسي نفسه و "الضحية" التي أصلها "غادة الكاميليا" لـ "إسكندر دوماس الابن".

أما النوع الثاني المخترع فهو قصص غير ناضجة، قد ضمنها كتابيه "النظرات" و"العبرات" وعالج فيها مواقف اجتماعية وإنسانية عديدة، وقد وجه معظم مقالاته لهذا الغرض الأعلى وهو الانتصار للفضيلة والدعوة إلى التمسك بها ونبذ الرذائل والمفاسد الخلقية وكذلك دعا إلى إغاثة المحتاجين والعطف على المعوزين والفقراء والباكين والمحزونين،¹ كما أيد ذلك الدكتور أحمد هيكل في "تطور الأدب الحديث في مصر" قد اتجه مصطفى لطفى المنفلوطي في أعماله القصصية وجهة خاصة لا يستوحى فيها المقامات ولا غيرها من قوالب التراث ولا يحاكي القصص الغربي كما سيفعل آخرون فيما بعد، وإنما يقدم نوعا من القصص فيه بعض عناصر قصص ولكنها غير مكتملة من الناحية الفنية الخالصة لأن إلى جانبها عناصر أخرى أقرب إلى الفن المقال أو الخطابة ومن هذا المزيج القصصي المقال الخطابي ، أخذ المنفلوطي طريقته القصصية هادفا إلى غاية تهييبية وهي

¹ الدكتور أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، ص: 191. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

تعميق الإحساس بالمثل العليا والقيم الإنسانية الكبرى كالوفاء والشرف والشجاعة والفضيلة وحب الخير الحق والجمال مستخدما للتعبير عن طريقته والوصول إلى غايته أسلوبا بيانيا أخذا، يقوم على تجويد التعبير ورعاية موسيقى الكلام، والاهتمام برسم الصور وإثارة العاطفة، كل ذلك من غير التزام للسجع ولا لغيره من المحسنات ، ومن غير محاكاة للمقامات ولا غيرها من مخلفات التراث ، بل مع إبداع وابتكار وأصالة وشخصية تتضح في الأسلوب كما تتضح في طريقة القصص وغايته جميعا"¹.

مقالاته القصصية

هناك مجموعة من الشخصيات في تاريخنا الأدبي الحديث، احتلوا منزلة لم يصل إليها أحد في إطار النوع الأدبي الذي يبدعون فيه، بل إنهم يعدون عباقرة ذلك المجال ولم يستطع أحد حتى اليوم أن يتجاوزهم أو يلحق بشهرتهم، وهذه الشخصيات العبقريّة هي:

1 أحمد شوقي: في الشعر

2 توفيق الحكيم: في المسرح

3 طه حسين: في الدراسات الأدبية

4 نجيب محفوظ: في الرواية

5 يوسف إدريس: في القصة القصيرة

6 مصطفى لطفى المنفلوطي: في المقالة الأدبية.

المنفلوطي أشهر كاتب مقالة أدبية في العصر الحديث ولم ينل أحد قبله أو بعده ما نال شهرة وانتشارا من حيث أن تراثه الأدبي لا يزال يعاد طبعه ويجد جمهورا قاريا حتى اليوم.

وقد اختار المنفلوطي من مقالاته المختلفة التي نشرت في بعض جرائد، ومن أهمها جريدة "الصاعقة" التي كان يرأس تحريرها "أحمدفؤاد" وجريدة "المؤيد" التي كان يرأس تحريرها "الشيخ علي يوسف" بعض المقالات وأعاد نشرها في كتابه "النظرات" التي

¹. المصدر السابق، ص192.

صدرت في سنة 1910م . وكتاب "العبرات" التي صدرت في سنة 1915م مختلف عن "النظرات" لأنه يحتوي على بعض قصصه الموضوعية والمترجمة ولكنها أسلوب الكاتب لا يختلف كثيرا في تناول كل منها إلى حد كبير وهما يشملان على مقالات عامة أو مقالات قصصية.¹

وإن موقف المنفلوطي أو رؤيته الأدبية لا في هذين الكتابين فحسب، بل في كل ماكتب - تقريبا- هو موقف المصلح الذي يدعو إلى الإصلاح بشكل ليس فيه تورية أو تكتنية فالمنفلوطي في كل ما كتب كان داعيا إلى إصلاح المجتمع والتمسك بالفضيلة ومساعدة الفقراء والمساكين والمحاربة ضد الرذائل والمحافظة على كرامة المرأة وعدم تعريضها للمشكلات، حتى لا تسقط أو تزل ، ويتصل بهذه الدعوة أيضا من قرب أو بعد دعوته إلى إصلاح أساليب الكتابة الأدبية وعدم التفريق بين اللفظ والمعنى.

وإذا كان المنفلوطي يدعو إلى إصلاح المجتمع وأسلوب الكتابة ، فإنه لم يكذب يتطرق إلى حديث السياسة في أي موضوع من الموضوعات المختارة في "النظرات" و"العبرات".

ويعد كتاب "العبرات" مكملا لكتاب " النظرات" وعلى هذا يعد الجزء الرابع منه ، والكتاب يشتمل على مجموعة روايات قصيرة بعضها موضوع أي مؤلف وهو أربع قصص وبعضها مترجمة والصحيح أنها معربة لأن الترجمة تعني الأمانة في نقل النص من لغة إلى أخرى ، أما التعريب فينتطلب بالضرورة قدرا من التصرف في نقل النص وتضم خمس قصص.

فإن أهم ما يميز القصة القصيرة غير الحجم هو أنها : تجربة أدبية تعبر بالنتج عن لحظة في حياة الإنسان، فهي إذا فن يقوم على التركيز والتكثيف في وصف لحظة واحدة، وهذه اللحظة قد تمتد زمنيا لساعات أو أيام أو أسبوع أو ربما شهر أو أكثر ، غير أن القاص لا يهتم فيها بالتفاصيل التي يهتم بها الروائي لكنه يمضي قدما من أجل تعميق اللحظة التي يصورها لكي يعطي إحياء مركزا حول ما تدل عليه ، ولأن الرواية تصور حياة مجموعة من الشخصيات في فترة طويلة ، وهي تهتم بتصوير حياة أولئك الشخصيات تصويرا خارجيا وداخليا في

¹ . الدكتور طه وادي، تقديم النظرات للمنفلوطي، ص: 7.

مكان وزمان محددين ، ومن هنا تمتلك الرواية قدرة هائلة على الوصف والتحليل والتصوير الشامل وهذا ما يتيح لكاتبها فرصة واسعة لتقديم وجهة نظره في أمور كثيرة مثل، التاريخ ، والسياسة، والمجتمع، والاقتصاد، وحياة الأسر، وعلاقات الأفراد، والتعبير عن عاطفة الحب وغيرها من القضايا بالذات، لذلك يصبح من الصعب تحديد شكل خاص للرواية أو موضوعات أثرية لديها، فالروائي العظيم له الكثير من سمات المؤرخ السياسي وعلم الاقتصاد، وباحث الاجتماع، والمحلل النفسي ، والمعلم التربوي، بل إنه يحمل قدرا من سماحة الأدب، وحنان الأم ، وعاطفة الحب تحمل خادمه البيت ، حارس المكان ومنظم الوقت.¹

بناء على ما سبق يبدو الفارق الفني شاسعا بين نوعين أدبيين من جنس واحد، هما الرواية والقصة القصيرة، فالرواية تصور حياة شاملة وتترك لدى قارئها انطباعات وتأثيرات وتفسيرات أما القصة القصيرة التي تصور لحظة في شخصية مأزومة، فإنها يجب أن تترك تأثيرا خاصا أو وحدة انطباع، نتيجة الاقتصاد والتحدد في الوصف والتصوير، من هنا تتسم القصة القصيرة بتطابق تام بين المضمون والشكل.

وإن الكتاب "العبرات" مكمل لكتاب "النظرات" لأن الروايات أو القصص التي تشتمل عليها العبرات مؤلفة ومعربة توجد نظائر وأشباه لها كثير في الأجزاء الثلاثة من "النظرات" على أن بعضها نفسه مكرر بنصه وعنوانه ولا سيما في جزء الثالث.

أما المقالة هو نوع من الكتابة يناقش قضية اجتماعية بشكل واضح ومباشر وهي قصة نثرية محدودة الطول تكتب أقرب إلى العفوية والتلقائية خاصة إذا كانت مقالة أدبية تعبر عن وجهة نظر كاتبها وليست مقالة علمية أو الموضوعية.

وإذا كانت المقالة تناقش قضية اجتماعية بأسلوب عفوي مباشر، وإن القصة تصور تجربة إنسانية تصويرا فنيا، يعتمد على الرمز والتلميح دون التصريح لأن المباشرة تزهدق روح الفن.

¹ .الدكتور طه وادي، مقدمة النظرات للمنفلوطي، ص: 13.

وعلى هذا فإن هناك مجموعة كبيرة من النصوص في التراث المنفلوطي المقالي والقصصي مؤلفة كان أومترجمة وأنها نصوص في منزلة بين النوعين: المقالة ، والقصة التي يطلق عليها مصطلح المقالة القصصية.¹

كثيرا ما يذكر اصطلاح المقالة القصصية على أساس أنه مرادف للصورة القصصية ولكنها في الواقع أدبيان متميزان: أحدهما وهو الصورة القصصية يماثل شكل القصة القصيرة في كونه تعبيراً موضوعياً يعتمد على رسم الشخصية والحديث، وإن كان يرسمها بطريقة وصفية غير درامية ويبقيها أقرب إلى دائرة الملاحظة والتأمل منها إلى دائرة الانتباع. أما الشكل الثاني ، وهو المقالة القصصية فهو في أهم خصائصه نوع من المقالة لكونه تعبيراً مباشراً عن فكر كاتبه، لكنه يتميز عن أنواع المقالة الكثيرة الأخرى بخاصتين: الأولى أنه أميل إلى الذاتية ، فكاتبه يطلق العنان لخواطره ومشاعره كأنه شاعر ينظم قصيدة غنائية، والثانية أنه يمزج التعبير عن الخواطر والمشاعر بالسرد والوصف فيحدث في الأسلوب ضرباً من التنويع ، ويخفف من الطابع الذاتي الذي يغلب على هذا اللون من المقالات، والتعبير البياني في هذا الضرب من المقالات يحتل المكان الأول قبل التعبير من خلال الأحداث ، أو من خلال الشخصيات.

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن النصوص التي يشتمل عليها كتابا "النظرات" و"العبرات" تنقسم إلى نوعين أدبيين متقاربين إلى حد ما في السمات الأسلوبية للتعبير اللغوي، وهما المقالة الأدبية والمقالة القصصية.²

والمنفلوطي ليس وحده الذي كتب المقالة القصصية وإنما كان يشاركه في إبداعها بعض الكتاب ، أمثال إبراهيم المازني في "صندوق الدنيا" و "قبض الريح" وطه حسين في "المعذبون في الأرض" ومحمد حسين هيكل في "ثورة الأدب" وعبد العزيز البشري في كتابه "في المرأة"³.

¹ الدكتور طه وادي، مقدمة النظرات للمنفلوطي: ص:13

²- المصدر السابق، ص:13

³- المصدر السابق ، ص: 13.

الرواية المعربة للمنفلوطي

عرب المنفلوطي أربع أعمال أدبية، خرجت في شكل روايات، ولاقت نجاحا باهرا واسعا امتداد الوطن العربي كله حتى اليوم .

1. ماجدولين أو تحت ظلال الزيزفون (1917)

هذه الرواية التي ألفها الكاتب الفرنسي الفونس كار بعنوان "Saus Les Tilleuls" وقد عربها المنفلوطي عن ترجمة صديق له يدعى محمد فؤاد كمال ويرتكز مضمونها على محورين أحدهما عاطفي، والثاني اجتماعي أما الأول فيمثل صراعا بين الحب الحقيقي الطاهر والحب الزائف والثاني يمثل صراعا بين الفقر والغنى، ويترتب عليه أن السعادة ليست في الغنى والجاه والمظهر، ولكنها في العمل والكفاح والإخلاص للقيم، وبطل الرواية "استيفن" شاب يرى السعادة في العمل والكفاح والحب الطاهر، وتتطور قصة حبه العفيف مع "ماجدولين" الجميلة ، لكن والدها "مولر" رفض زواجها به بسبب زعم علمه بأن هناك قصة حب بينهما وتتزوج الفتاة الغريرة من "إدوار" الغني كما أراد أبوها، لكن ذلك الزوج الغني سرعان ما فقد ماله كله فمات منتحرا، وحاولت ماجدولين أن تعود إلى حبيبها، بعد أن تحسن حالته المادية لكن كبرياءه أبى عليه ذلك فرفض ، مما دفع الحبيبة إلى أن تنتحر غرقا وقد حاول الحبيب إنقاذها لكنه لم يستطع فمات حزنا عليها.

2. في سبيل التاج (1920)

هذه الرواية كانت في أصلها مسرحية كتبها الأديب الفرنسي (فرانسوا كوبيه Fran Cais Coppee) سنة 1895م وبطلها فتى تعارضت في نفسه عاطفتان قويتان : حب الأسرة وحب الوطن ، واسم البطل "قسطنطين" ابن القائد "برانكومير" ويكتشف أن زوجة أبيه قد حرضت أباه على خيانة وطنه ، حتى تقبض ثمن الخيانة وحتى لا يرث الابن قسطنطين حكم البلاد، عندما يصبح والده حاكما لبلاد البلقان خاصة بعد إنقاذه لفتاة فقيرة من يد الأتراك

وحبه لها رغم ما بينهما من فوارق طبقية ورغم رفض أبيه وزوجته لهذا الحب غير المتكافئ.

ويواجه الابن أباه ساعة تنفيذ خطة الخيانة، ويتم صراع حاد بين الابن الوطني والأب الخائن ، حيث يدافع الابن عن أرض الوطن وشرف الأسرة ، بينما يقاتل الأب من أجل العرش، ومن أجل إرضاء زوجته وينتهي هذا الصراع العائلي بأن يقتل الابن فداء للوطن، ولكن الزوجة الشريرة أشاعت بأن زوجها قتل في المعركة، بينما كان ابنه الخائن يتفاوض مع الجاسوس التركي وقد حكم على الابن بالإعدام ، فقبل قدره شجاعة وهكذا "قسطنطين" قتل أباه من أجل الوطن ، ثم رضي أن يقتل فداء لأبيه وسمحة أسرته وهنا برزت الحبيبة الوفية الفقيرة "ميلترا" أمام الجماهير، وطلبت منه أن يعترف بالحقيقة ، فأبى وأصر على التضحية فأخرجت الخنجر من بين ملابسها وقتلته ثم قتلت نفسها.

3. الشاعر، اوسيرانودي برجراك

هذه الرواية كانت في الأصل مسرحية ، ألفها الأديب الفرنسي إدمون روستان (Edmond Rostand) عام 1898م بعنوان "Cyrano de Bergerac" وقد ترجمها عن الأصل صديق المنفلوطي عبد السلام الجندي، الذي طلب منه أن يهذب أسلوبها فحولها المنفلوطي من قالب التمثيلي إلى القصة ويدور مضمون هذه الرواية حول الحب العفيف الصامت، واسم البطل "سيرانودي برجراك" الذي يكون الشاعر ويحب ابنة عمه "روكسان" الجميلة المرهفة . وكان من الممكن أن تنمو قصة الحب بينهما لولا دمامة وجهه وكبر أنفه. وقد أحببت "روكسان" الضابط "كرستيان" لأنه على نقيض ابن عمها، يملك حسن الوجه وجمال المنظر.

اتخذ هذا الشاعر حبيب ابنة عمه صديقا حميما له وأخلص في مودته إخلاصا نادرا وأعانه على استمرار صلته بها وبقاء حبه في قلبها وذلك لأن حبيبها كان على حظ غير قليل من البلاهة وليس له علم بالبلاغة وفنونها في الوقت الذي كانت فيه "روكسان" لا تتقرب إلا من الأذكياء ولا تحب إلا البلغاء فأخذ يلقن ذلك الحبيب ما يجب مما يقوله من الكلمات لحبيبه

ويجبره على حفظه وبهذه الطريقة كان الشاعر ينفث شعوره المتأجج في صدره بلهب الشوق ولوعة الحب وكان ينفثه في كلمات تصل إلى محبوبه عن طريق حبيبها الآخر. ولم يزل هذا شأن سيرانو حتى خرج من دنياه ولم تعلم ابنة عمه بحقيقة أمره إلا في الساعة الأخيرة.

الفصل الثالث

المنفلوطي كما يراه النقاد

أدب المنفلوطي النثري

يعد مصطفى لطفى المنفلوطي واحدا من الأدباء الكبار الذين أسهموا بدور مؤثر في تطوير النثر العربي الحديث لا مصر وحدها وإنما على صعيد الوطن العربي كله من المحيط إلى الخليج¹ بل إنه كان رائدا من رواد تجديد النثر من خلال أسلوبه في المقال الأدبي وحظي بالمقام الأول من حيث كاتب المقال ومع هذا عرب بتصرف واسع في بعض من الروايات والقصص وإن لم يشتهر بكاتب الرواية والقصة بسبب عدم معرفة شرائط الفن القصصي والروائي بتمامه ولذا تنهار القصة ولكنه صنع للرواية العربية - في مصر وكل أقطار الوطن العربي- ما عجز عن صنعه أي كاتب من كتابها الحقيقيين ، ذلك أن في الرواية كان

¹ الدكتور طه وادي، مقدمة النظرات، ص: 49. دار المعارف ، الطبعة الثانية.

يوصم بوصمة ازدراء واحتقار لمن يتجرأ ويقوم بكتابتها لكنه مع ذلك استطاع أن يظهر فن الرواية من الرجس والازدراء والنظرية الدنية ، التي كانت الرواية موصومة بها هي... ومن يقبل على كتابتها¹.

ويقول الدكتور أحمد هيكل عن عمل المنفلوطي القصصي في صدر تاريخ الفن القصصي الحديث "رغم طريقته غير الدقيقة...، فإنه يعتبر دعامة من دعائم الفن القصصي في الأدب العربي، ...أول من صنع جمهورا كبيرا للفن القصصي وحمل القراء على اعتبار القصص والروايات نماذج أدبية عالية ولا تقل روعة عن الشعر، وبهذا يعتبر المنفلوطي مرحلة هامة في تاريخ أدب مصر الحديث وفي تاريخها الفن القصصي بصفة خاصة².

في الحقيقة أن كاتبنا أسهم – بتعريب الفرنسية التي أثرت على كثير من الأدباء المسلمين – في تثبيت جذورها الفن الحديث في بيئة محافظة ، ومنحه نوعا من شرعية الوجود لأنه قدم هذا الفن الجديد – الذي لم يكن معترفا به بشكل صريح ...برؤية أخلاقية محافظة وأسلوب بليغ³.

وقد ذكر الدكتور أحمد هيكل في كتابه "دراسات أدبية": "وقام المنفلوطي بأعظم دور في تطوير النثر العربي الحديث ، وإليه يرجع تخلص هذا النثر نهائيا مما كان يتردى من تفاهة وركاكة دانت عليه طلية عصور التخلف وبخاصة في العهد التركي، الذي امتد نحو ثلاثة قرون، فقد أفاده المنفلوطي من روح الفترة التي عاشها ومن اتجاه الفترة السابقة على فترته، حيث كان هناك حركة إحياء لروائع التراث العربي الذي خلفته عصور الازدهار ومن استيعاب المنفلوطي لروائع التراث النثري المترسل الذي سيطره كبار الكتاب في عصور الازدهار ومن توجيهات الأستاذ الإمام ومن موهبة الرجل وأصالته ، خرج بطريقته في الكتاب تعد الطريقة الأم لكل الاتجاهات الفنية الأسلوبية في الكتابة العربية الحديثة"⁴.

¹. المصدر السابق، ص: 5.

². نقلا عن تطور الأدب الحديث في مصر لأحمد هيكل، ص: 4.

³. دراسات في نقد الرواية، ص: 85.

⁴. الدكتور أحمد هيكل ، دراسات أدبية. ص: 103، دار غريب القاهرة، الطبعة الثانية، عام 2010م.

ويقول أحمد محمد عوين واصفاً بمكانه في النثر العربي الجديد في كتابه: "شعرية السرد في نظرات المنفلوطي" تتسم أعمال المنفلوطي برهافة الأحاسيس وشاعرية المعاني وجمال الديباجة وحلاوة التعبير، وحسن التوقيع والتظرف في السرد والأوصاف، ويتميز أسلوبه بصدق العبارة في تناول القضايا الاجتماعية.

فقد عني بأسلوبه، وأدى معانيه فيه أداءً فنياً بديعاً، ولم يحاول ذلك في أسلوب السجع الذي أهملناه، وإنما حاوله في الأسلوب المرسل الجديد، ولكنه عني عناية بارعة بهذا الأسلوب عن اختيار ألفاظه وانتخابها، ووفر لها ضروباً من الموسيقى، بحيث تسغيها الأذان وتقبل عليها وإذا كان "رفاعة رافع الطهطاوي" هو رائد الترجمة في مصر، بعد إدراكه أن الترجمة هو النواة الأولى في بناء النهضة العلمية و "محمود سامي البارودي" هو مجدد الشعر العربي ومعيده إلى أصالته، فإن "مصطفى لطفي المنفلوطي" يعد من رواد حركة تحرير النثر العربي من قيود السجع والجناس والزخارف اللفظية في إطار مدرسة المحافظين النثرية، وقد لعب المنفلوطي دوراً غير هين في التمخيد الباكر للنهضة الأدبية التي أنبتت رواداً أدبنا الحديث فكان المنفلوطي واحداً ممن أخرجوا النثر العربي من قمقه الذي فرضه عليه العصر العثماني، إذ لم يكن ثمة مجال للتجديد والابتكار"¹.

يعتبر المنفلوطي ظاهرة جديرة بالانتباه أولاً وبالإعزاز والإكبار ثانياً، وذلك لأنه جاء على فترة لم تكن الأساليب فيها قد تخلصت من مخلفات العهد العثماني الذي انحدرت فيه الأساليب وغلب عليها التعقيد والصنعة، وكانت بداية الصحوة، لهذا الاتجاه تتمثل في "صهاريج اللؤلؤ" للبكري و حديث "عيسى بن هشام" للمويلحي و "أسواق الذهب" لشوقي، فضلاً عن الأسلوب المقامي الذي تجلّى في كتاب "مجمع البحرين" لناصر اليازجي.

ويقول الأستاذ صلاح عبد الصبور (1981م): "كان في حد ذاته خطوة بعيدة في التطور مما يدل على خصب نفس المنفلوطي وطواعيته للتجديد، فإن هذا الأسلوب يختلف اختلافاً

¹ أحمد محمد عوين، شعرية السرد في نظرات المنفلوطي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، الطبعة الأولى.

هائلا عن أسلوب المقامات الذي قلد "محمد المويلحي" في "حديث بن هشام" بل حافظ في "ليالي سطيح"¹.

كذلك لا ننسى أن المنفلوطي يعتبر في أدبنا الحديث قمة الاتجاه لظهور النثر الفني متحررا من قيود الصنعة والضعف والركاكة التي شاعت في عصره"².

فجملة القول أن المنفلوطي قد عاصر الأعلام في عصره مثل الطهطاوي ومحمد عبده والمويلحي ولكن ليس معنى ذلك أنه من جيلهم لأن المنفلوطي ولد بعد وفاة الطهطاوي ولم يكن يعرف محمد عبده أو المويلحي إلا أنهما في دور الكهولة فهو عاصرهما في السنين الأخيرة من حياتهما ولكنه لم يتأثر في الكتابة كثيرا، وإن كان قد تأثر بهما في الحياة وإن محمد عبده نفسه لم يكن يكتب على طريقة المنفلوطي، ومن جهة أخرى لم يكن لأسلوب المنفلوطي صلة بأسلوب إبراهيم المويلحي الذي كان يسجع أحيانا، وكان المنفلوطي مثل محمد عبده في إيمانه بإطلاق سراح الكتابة، وكان أيضا على طرف نقيض من محمد عبده في ميله إلى السخرية والدعابة في الكتابة ، مما لم يظهر أثره على المنفلوطي بأي شكل من الأشكال .

قد تخلص المنفلوطي بطريقته في الكتابة من كل قيد كان يمكن أن يشده إلى طريقة السابقين وبعض المعارضين له، فهو كما حدث عن نفسه كان معجبا بالأساليب العربية في عهدها الذهبي ضائقا بالأساليب المعاصرة والمسابقة التي امتلأت بأغراض الصنعة وتكبلت بالزخارف اللفظية والتي اعتبرها كلها أحاديث لسان ومن ثم فهو عنده زيف لأنها تعمد على العبارة المنمقة، والجمل المزخرفة والكلمات الجامدة³.

أسلوبه

¹ محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 83،

² صلاح عبد الصبور ، ماذا بقي منهم للتاريخ ، ص: 109، عام 1961م.

³ محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 84.

كان المنفلوطي أديبا موهوبا، حظ الطبع فيه أكثر ويتسم أسلوبه بالطلاوة والعذوبة والرصانة، واللفظ المختار، والتصوير الفني، والالتزان بين العبارة، ويميل إلى الإطناب والتفصيل وسمته الغالية العاطفية والافتعال.

خرج المنفلوطي بدراسته المتصلة والواسعة لروائع التراث النثري المترسل الذي سيطره كبار الكتاب في عصور الازدهار، ومن توجيهات محمد عبده، ومن موهبة الرجل بطريقة في الكتابة تعد طريقة الأم لكل الاتجاهات الفنية الأسلوبية في الكتابة العربية الحديثة . وطريقة المنفلوطي لها سمات أسلوبية واضحة أهمها:

البعد عن التكلف والنأي عن التقليد، والقصد إلى الصدق، والاهتمام بحسن الصياغة وجمال الإيقاع ورعاية الجانب العاطفي ثم الميل إلى السهولة والترسل وترك التعقيد والمحسنات، فيما عدا بعض السجع المطبوع الذي يأتي بين الحين والحين للإسلام في موسيقى الصياغة، والطلاوة والعذوبة والرصانة، واللفظ المختار، والتصوير الفني¹ وقد كانت طريقة المنفلوطي – برغم محافظتها واتخاذها النثر الجيد القديم مثلا أعلى – طريقة إبداعية في كثير من جوانبها ، ففيها أصالة المنفلوطي وكل ما كتب بها موضوعات حية، هي من تجارب الكاتب المرتبطة بنفسه وقومه وعصره فهي طريقة في النثر أشبه بطريقة شوقي في الشعر، فيها محافظة من حيث اتخاذ القديم الجيد مثلا أعلى في الصياغة، وفيها تجديد من حيث تطوير الأديب وإضافاته، واتخاذ الإطار البياني المحافظ. وسيلة للتعبير عن مشاعره هو، وتجاربه هو، وعصره هو بحيث تتضح شخصيتهن كأجلى ما تكون، وتظهر المعاصرة في أسلوبه فلا تخطئها إلا عيون المكابرين.²

ويقول أحمد حسن الزيات " كان المنفلوطي أديبا موهوبا حظ الطبع فيه أكثر من حظ الصنعة ، وكان النثر الفني على عهده لونا حائلا من أدب القاضي الفاضل، أو أثرا ماثلا لفن ابن خلدون، ولكنك لا تستطيع أن تقول إن أسلوبه كان مضروبا على أحد القالبيين، وإنما كان أسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره، بديعا أنشاه الطبع القوي على

¹ أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر، ص:

² أحمد هيكل ، دراسات أدبية، ص: 104.

غير مثال، وأسلوبه القصصي الرائع يصف الألم، يمثل العيوب في أسلوب طلي وبيان عذب، وسياق مطرد، ولفظ مختار.¹

ويقول العلامة الشيخ أبو الحسن على الحسن الندوي (المتوفى سنة 1999م) عن المنفلوطي: "وهو أديب مطبوع يرسل النثر حلوا مرسلا، محبوبا، كان دقيق الحس، رقيق العاطفة، رشيق القلم، سهل البيان، حلو العبارة، مشرف الديباجة".²

وللدكتور شوقي ضيف رأي قريب من الآراء السابقة في أسلوب المنفلوطي وهو أن المنفلوطي لا يعني باختيار مواضيعه فحسب بل يعمد إلى العناية باختيار اللفظ وجرسه الموسيقي تقليدا للقديما في عنايتهم به. "المنفلوطي لا يسجع ولكنه يعني عناية شديدة بموسيقاه ألفاظه، وكأن الناس لا يقرأون بأبصارهم في الصحف، بل هم يقرأونه أو يسمعونه بأذانهم على طريقة القديما قبل أن تتحول القراءة من السمع إلى البصر".³ فلا يعرف له نظير بين أعلام الأدباء الناثرين من مطلع النهضة الكتابية قبل مولده إلى ما بعد وفاته، فلم يستطع أحد أن يقرب بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الكتابة ما فعل المنفلوطي، فربما ذهب القصد في الكتابة بجمال الإنشاء في أساليب الناثرين المجيدين، ربما ذهب الأسلوب الإنشائي الجميل بالمعنى المقصود في كتابة أدباء الفكر والتعبير ولكن المنفلوطي هو الذي قارب بين الجمال والصحة على نسقه الفصيح في سهولة لفظ وضوح معنى وسلاسة نغم ولا يبلغ مبلغ التبرج بالصقل والزينة، ولا يترك التبرج والزينة ترك المتكشف في مسوح النساك.⁴

كان المنفلوطي يعني بأداء الموضوع بطريقة يتخير فيه اللفظ، ويحاول التأثير في سمع الملتقى ووجدانه، وهو في ذلك يتأثر بطريقة القديما الذين كانوا يعنون بالجرس الموسيقي للكلام، وانتهت بهم هذه العناية إلى السجع، والمنفلوطي لا يسجع، ولكنه يعني عناية شديدة

¹ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص: 463، اتحاد بكديو ديوبند.

² أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، واضح رشيد الندوي، ص: 97، مكتبة دار الرشيد لكتناز، الهند، الطبعة الثانية، عام 2013.

³ شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص: 232.

⁴ عباس محمود العقاد، رجال عرفتهم، ص: 52، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

بموسقى ألفاظه، وكأن الناس لا يقرأونه بأبصارهم في الصحف، بل هم يقرأونه أو يسمعونه بأذانهم على طريقة القدماء.¹

كما يرى أن المنفلوطي يكرر في معانيه على نفس طريقة الخطباء ، وأن هذا التكرار يرجع إلى أهمية المعنى الذي يتحدث عنه الأديب ورغبته وتثبيت ذلك في ذهن السامع وإثارة مشاعره يهب إلى تنفيذ ما أراد من مقاله، كحديثه عن الرحمة والشفقة والذي تكرر في النظرات بعناوين مختلفة وقصص متقاربة كلها تنتهي إلى هدف واحد وهو أن يكون جميع الناس رحماء فيما حتى لا يشعر أحدهم بالشقاوة والتعاسة.

كما يكرر لفظ "إرحم، إرحم" وهذا يرجع إلى حرارة العاطفة وشدتها أثناء كتابته ورغبته الأكيدة في نقل هذه المشاعر كاملة إلى السامع للاستجابة السريعة "وهو يبدي ويعيد في معانيه على طريقة الخطباء، بل هو يستعير منهم النداء بمثل أيها الإنسان وترى عنده مثلهم التكرار في الكلمات مثل إرحم، إرحم، كما ترى عنده كثرة التواصل بين العبارات ، إذ كثيرا ما يقطع العاني ويستأنفها ، وقد يكون ذلك بسبب انفعالاته العاطفية، ونظن ظنا أنه يتأثر أسلوب الخطابة في عصره عند مصطفى كان وأضرابه"².

وإن ما يمتاز به المنفلوطي وينفرد به دون غيره من جملة الأقلام، ويبلغ حد الإعجاز الذي لا يجاري هو أسلوبه، ذلك الأسلوب السائغ المحبب الشفاف الذي تسيل فيه الرقة والسلاسة كما يسيل الماء الزلال، فالقاري يحس بحسن أسلوبه وعذوبته فيمتلك عليه روحه ببيانه الناصع فيشغف به إلى حد الجنون.

ومن أسلوب المنفلوطي يعرف مذهبه في الكتابة، أما في الشعر فلا طريقة خاصة ولا أسلوب له ، وقد أحس من نفسه بهذا فهجر الشعر ومال إلى الكتابة.³

¹ شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر، ص: 232.

² المصدر السابق، ص: 232.

³ سلسلة الأعمال المجهولة، مصطفى لطفى المنفلوطي، تحقيق وتقديم الدكتور على شلش، ص: 150، مكتبة رياض الريس للكتب والنشر، لندن 1987م.

ومن المعلوم أن أسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره، وقد سار في اتجاهه سيراً حثيثاً رفعه إلى المكانة اللائقة بين أدياء عصره، ولا شك أن خير دليل على أسلوب المنفلوطي السهل المرسل الخالي من السجع المتكلف والمحسنات اللفظية، وهو كل ما كتبه في "النظرات" و "العبرات" أو القصص التي ترجمها بأسلوبه، والتي لا تحس أثناء قراءة شيئاً منها التعقيد اللفظي أو السجع المتعمد الذي يفسد المعنى، ويشوه الأسلوب، وإنما سهولة وعذوبة وسلاسة وجمالة توحى بالشعر وهو ليس كذلك، وترتقي بالأسلوب النثري إلى القمة التي يسعى إليها كل أديب في أي عصر.

مصطفى لطفى المنفلوطي كان قريباً من الشعرية، بماله من سمات شخصية ونفسية، كما أنه بدأ حياته شاعراً في الأساس، ونظرته إلى معنى الشعر جعله ينقل سمات الشعرية وما تمتاز به إلى كتاباته النثرية، ولف ذلك كله بعاطفة جياشة مرهفة تجعل منه النثري ذاتياً تشيع فيه العواطف والأحاسيس، وهذا الشيوع للعواطف جعل دور العقل محدوداً في أدبه، كما ذكر أحمد محمد عوين في كتابه "شعرية السرد في نظرات المنفلوطي" عن هذا الصدد:

" إنه لصيق بالشعرية، فنرى - في أدبه - من الناحية الظاهرية والشكلية الواضحة بمجرد النظر شيوع سمات الشعرية وعلاماتها البارزة والأساليب المؤدية إليها، وأكثرها يرتبط بروحه ونفسه الشاعرة في الأساس، فقد كان حريصاً على كتابة الشعر - وإن كان مقلاً - كما حرص على ترصيع نشره بحبات من أدبيات الشعر المنتقى ليزين قوله ويدل على صحة فكرته، وليجمل ما فصله في نثره أحياناً فيكتب المقال الأدبي لكن الشعرية تتغلغل في جنبات هذا المقال ويكتب النثر بطريقة الشعراء فيصبح نثراً تسوده الشعرية"¹.

وقد اختلف النقاد حول أدب المنفلوطي بين مؤيد ومعارض، ومن هؤلاء النقاد الذي كان في نظره المنفلوطي منشي يميز بدقة واضحة بين أدب الطبع وأدب الصنعة أو بين الأدب الصادق وأدب التقليد فالمنفلوطي - عنده - منشي وليس بكاتب أو يحسب مع أصحاب الإنشاء.

¹ أحمد محمد عوين، شعرية السرد في نظرات المنفلوطي، ص: 21، دار الوفاء اسكندرية.

وينقسم الناثرون إلى نوعين : المنشئين والكتاب، والمنشؤون في رأيه هم الذين يعنون بالعبارة وزخرفتها وصقلها بل تبرجها دون عناية بالمعنى وغرارته وحدته، والكتاب هم الذين يأتون بالجديد من المعاني ويثرون الفكر ويشبعونه غذاء شهيا.¹

وقد عيب على المنفلوطي الاهتمام الشديد بالأسلوب، والفقر في الجانب الفكري، ضيق الثقافة، والمبالغة في اصطناع الأسي، وإثارة العاطفة، ثم عدم الدقة في الاستعمال اللغوي أحيانا والميل إلى حشد المترادفات والعبارات المكملة، والكلمات المؤكدة، كما وصفه إبراهيم عبد القادر المازني (المتوفى 1949م) بالسطحية والسذاجة والإفراط في الكآبة والحزن وقد شن عليه هجوما قاسيا وجعل لغته من أنها " ليست إلا زينة يعرضها وحلى يخيل بها لا أداة لنقل معنى أو تصوير إحساس أو رسم فكرة ، ومن أين له أن ينزل اللغة هذه المنزلة وهو لا معنى في صدره ولا فكرة في ذهنه".

وقد هاجمه طه حسين وكان أول مهاجميه عام 1911م، وكان هجومه عنيفا، فقد اتهمه باصطناع الخيال والبعد عن الحقيقة والسرقة من الغير، والتكرار في الألفاظ والمعاني، ولكن طه حسين قد اعتذر فيما بعد في كتابه "الأيام".

وقد أخذ العقاد على المنفلوطي في كتابه "مراجعات" ببيكائه وشكواه ولكن اعترف فيه بأن المنفلوطي أحد من الذين أدخلوا المعنى والقصد في الإنشاء العربي وقد اعترف في كتابه "رجال عرفتهم" بأن المنفلوطي لا يعرف له نظير بين أعلام الأدباء الناثرين من مطلع النهضة الكتابية قبل مولده إلى ما بعد وفاته ولكن المازني كان على موقفه في اتهامه المنفلوطي إلى النهاية²

وربما كان الكثير من هذه الاتهامات حقا، ولكن الحق أيضا أن الكتابات التي خلفها المنفلوطي بطريقتها الفنية كانت أول اتجاه أسلوبى فني حديث رد إلى النثر اعتباره ، وجعله

¹ سلسلة الأعمال المجهولة، مصطفى لطفى المنفلوطي، تحقيق وتقديم الدكتور على شلش، ص: 146.

أحمد محمد عوين ، شعرية السرد ، ص: 13.

² سلسلة الأعمال المجهولة، مصطفى لطفى المنفلوطي، تحقيق وتقديم الدكتور على شلش، ص: 16.

ينافس الشعر وخرج آخر الأمر أعلام الكتاب الأسلوبيين الذين يفخر بهم تاريخ الأدب الحديث.¹

ومهما يكن من رأي بعض الكتاب في المنفلوطي إن أثر أسلوب المنفلوطي يبدو واضحا في كتابات الرافعي، وطه حسين، والزيات، وعبد العزيز البشري، كما يقول "الأستاذ أنور الجندي" فكان أثر في كتابات الرافعي، والزيات وعبد العزيز البشري، وطه حسين²

ويعترف الدكتور مندور "بأنه واحد ممن تأثروا بأسلوب المنفلوطي، ولكن الحق أن الأجيال التي جاءت بعد المنفلوطي تأثرت به وتلمذت عليه.³

وكتابات المنفلوطي خير معوان لتعلم اللغة العربية وأصلح نموذج للتمرن على الإنشاء العربي، وأحسن كتابات في تنمية صلاحية الكتابة العربية السليمة والذوق الأدبي.

موضوعه:

عنى مصطفى لطفى المنفلوطي بالأمراض الاجتماعية خاصة في إصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع من المفسد والخرافات وصور البؤس، والشقا والحرمان والاستغلال وذكر الانتحار وسوء تصرف المترفين، فإنه جعل القضايا الاجتماعية موضوعا في كتاباته، وعصر المنفلوطي كان يعاني كثيرا من العلل التي أبتلي بها على الاستعمار وأعوانه، وتصالحت عليه عوامل قاسية منذ ابتلى ثم الفرنسي، ثم بمظالم أسرة "محمد علي" التي جرت عليه أعظم المصائب في شكل الاستعمار الإنجليزي، فإن كتابة المنفلوطي كانت استجابة لروح العصر الذي كان يعيش فيه.

والمنفلوطي الذي عاش هذه الفترة وكان من أكثر الكتاب استجابة لها، وتجاوبا لها، مع وضوح شخصيته في كل ميدان جاهد فيه، لقد عالج مشكلة العدالة الاجتماعية التي كانت

¹ مقدمة الشاعر، مصطفى لطفى المنفلوطي، قدمها محمد وثيق الندوي، ص: 4، مكتبة إحسان لكانا، الهند.

² محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 88.

³ المصدر السابق، ص: 88.

تشكل مقارنة ضخمة بين الطبقات، وذلك أن الاقتصاد المصري كان قد أرفهه الاستعمار، وإلى جانبه أصحاب المصالح من الإقطاعيين، فكان طبيعياً أن ينتشر الفقر، ويعم الذل، ويسود النفاق، من ثم كافح المنفلوطي من أجل الفقير ودافع عنه، وجعله أعلى قدراً وأرفع شأنًا من الغني السفيه، الذي لا خلاق له ولا مروءة عنده.

وقد كان المنفلوطي شديد الحرص على تقديم مساعدة فعالة تصل إلى هذا الفقير المعني ومن ثم تحول أحياناً عن مهاجمة الأغنياء، والمطالبة برد الحقوق التي أيدهم على أصحابها، إلى دعوتهم إلى الإحسان، محاولاً إغرائهم به.

ومن الطبيعي أن تهتز قيم المثل الأخلاقية في مجتمع ابتلي بالفقر والذل على يد المستعمرين القادرة، ويد الإقطاعي النابضة، ومن يظهر النفاق والنفعية، حيث تتوافر أسبابها ودوافعها في مثل هذا الجوالكريه.

ومن هنا انبرى هذا الرجل الذي يمثل صميم القيم العقائدية والأخلاقية في هذا الشعب المجيد، وقد أفرغته الكارثة، وهاجت حسه المرهف وإيمانه الراسخ، وسلوكه القويم، فانبرى يهوي بقلمه كأنه جذع شجرة من بلوط يغمسه في بركان ليستحق هذه الضلالات المنتشرة، والمفاسد المستشرية، أما في الجانب الأدبي فإن المنفلوطي أول من انتصر للغة القرآن، وذلك حيث قدم بقلمه النموذج السوي لإثبات أن اللغة قادرة غنية، وليست هزيلة منهارة عاجزة، كما زعم أصحاب الدعوات المسمومة من المستعمرين ومن معهم في ضلالهم، ولذا صادف أسلوبه الإعجاب من أبناء العربية كما قال بعض المستشرقين " وقد جمعت بين الأدب العالي وبين إرضاء ذوق القراء، لأنها كتبت بلغة مو سيقية صافية، فكانت بمثابة الوحي يهبط على جمهور تعود قراءة أدب الكلفة والتصنع، وقد انتشرت انتشاراً واسعاً بين قراء العربية، من بغداد إلى مراكش، مما يدل على أنهم ألفوا فيها شيئاً قيماً كما كانت تمثل الشعور الذي تردد صداه في العالم الإسلامي أبلغ تمثيل".¹

أفكاره:

¹ محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 91.

المنفلوطي لا يكره المدنية الغربية لذاتها بل يكره رذائلها ومفاسدها، بل يرى أنه ينبغي أن يأخذ الصالح منها فقط ويحذر وينبه إلى أن هذا الصالح مختل بشر كثير، فيجب أن لا نخدع عند الأخذ وهو يأسى لهذا التقليد الأعمى الذي تنكر به الناس لتاريخهم، وقوميتهم، وحضارتهم ويرى أن على العلماء يعربوا وينظروا في المؤلفات الغربية ، لكن إذا عربوا فليكن المفيد النافع، وإذا نظروا فليكن نظر الباحث المنتقد لا الضعيف المستسلم.

كان المنفلوطي شديد الاعتزاز بالماضي الزاهر، ويفتخر به ويحاول إحيائه لتسترد الأمة كيائها الحقيقي، وشخصيتها الأصلية، وقد هزه أن الأمة تندفع نحو المدنية الغربية حيث رذائلها لا حسناتها.

وهو يرى أن الأمة المصرية أمة مسلمة شرقية فيجب أن تبقى لها دينها وشرقيتها، ويقول: "إن في المصريين عيوباً جمة فإن كان لا بد لنا من الدعوة إلى إصلاحها، فلندع إلى ذلك باسم المدنية الشرقية لا باسم المدنية الغربية، إن دعوناهم إلى الحضارة فلنضرب لهم مثلاً بحضارة بغداد وقرطبة وطيبة وفينيقيا، لا بباريس ورومة وسويسرا ونيويورك"¹.

أما عقيدته وسلوكه فهو شديد التمسك بالإسلام وخير السلوك ونير الفهم لدينه، قوي الدفاع عنه شديد الغيرة عليه في غير تعصب أو قصور ولم يكن في فهمه للدين ممن يخدعون بالمظهر عن الجوهر، فلا تغني الركعات والسجود إن لم ينعكس أثرها فعلاً صادقاً، وسلوكاً قويمًا، يقول: "إن أضعف الوسائل إلى الله ذلك الركوع والسجود، والقيام والقعود، فلو أن امرأ قضى حياته بين ليل قائم، ونهار صائم، ظلم طفلاً صغيراً في لقمة يختطفه من يده، لا استحالت حسناته إلى سيئات، وما أغنى عنه نسكه شيئاً"².

ويقول مزيداً "إن الفرق بين الدين الخالص والدين المشوب ، أن الأول يتسع صدره لكل شيء حتى لمخالفه ومحاربه، وأن الثاني يضيق صدره بكل شيء ، حتى بنفسه، وأن

¹ محمد أبو الأتوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 65-70.

² المنفلوطي، النظرات، ج2، ص: 91، مكتبة إحسان لكتاؤ.

الله تعالى أوسع رحمة وأعلى حكمة من أن يسد في وجوه عباده كل طريق للوصول إليه إلا طريق السيف والنار".¹

كان المنفلوطي شديد الاحترام للمرأة والإيمان بها والعطف عليها، والدفاع عنها وقد كتب مقالا بعنوان "احترام المرأة" وأهدى إلى السواء السبيل وانتقد على الرجال الذين لا يحترمون النساء ويعهدون إليها لوظيفته المربية أو الخادم أو الممرض ولا يمنحونها فيها أكثر من عواطف الحب والود ويخلون عليها بعاطفة الاحترام والإجلال.

والمنفلوطي قد بذل ذوب نفسه في مقام الدفاع عن المرأة ، مقاومة الرجل دونها حتى يسلم لها عرضها وشرفها، وقد كان صادق الحس ، وفي العبرة، صائب النظرة.²

مكانته بين الأدباء المعاصرين:

لقد أثمرت تلك الجهود التي بذلها الشيخ محمد عبده وأنصاره والتي سبقت الإشارة إليها، حتى تبلور الاتجاه الذي زاده في طريقة فنية للمقالة، تعتبر الطريقة الفنية الأولى.

من حيث الزمن - في الأدب الحديث، كان مصطفى لطفى المنفلوطي هو العلم البارز في هذه الطريقة التي يمكن أن تحمل اسمه فيقال طريقة المنفلوطي أو المنفلوطية.

وطريقة المنفلوطي هذه لها سمات وخصائص أسلوبية منها ما انفردت به ومنها ما شاركت فيه غيرها من الطرق.³

وقد كانت طريقة المنفلوطي - برغم محافظتها واتخاذها النثر الجيد القديم مثلا أعلى طريقة إبداعية في كثير من جوانبها ففيها أصالة المنفلوطي وعليها طابعه، وكل ما كتب بها موضوعات حية، هي من تجارب الكاتب المرتبة بنفسه وقومه وعصره، فهي طريقة في النثر أشبه بطريقة شوقي في الشعر، فيها محافظة من حيث اتخاذ القديم الجيد مثلا أعلى في الصياغة، وفيها تحديد من حيث تطوير الأديب وإضافاته، واتخاذ الإطار البياني المحافظ

¹. محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 65-70.

² المصدر السابق، ص: 80

³ أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر، ص: 166.

وسيلة للتعبير عن مشاعره، وتجاربه وعصره، بحيث تتضح شخصيته كأجلى ما تكون، وتظهر المعاصرة في أسلوبه فلا تخطئها إلا عيون الأكابرين،¹

تأثر المنفلوطي بالأدب النثري العباسي، فقد هزه سر الجمال في اطراد العبارة لدى عبد الله ابن المقفع، وموسيقى العبارة لدى عبد الحميد الكاتب، وطبيعة السياق لدى الجاحظ، فاعتمد هذه الصفات وأضاف إليها ما أوحى به شخصية موضوعاته من وقيع حزين في المواقف الأليمة، ونبرة خطابية في مواقف التحريض، وتشابيه وصور منتزعة من قلب الطبيعة الإنسانية الجمادية والمنفلوطي أديب موهوب، حظ الطبع في أدبه أكثر من حظ الصنعة ، لأن الصنعة لا تخلق أدبا مبتكرا ولا أدبيا ممتازا ولا طريقة مستقلة.²

"وكان أسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره، بديعا أنشاه الطبع القوي على غير مثال عالج المنفلوطي الأقصوصة وبلغ في إجادتها غاية ما كان ينتظر ممن نشأ كنشأته في جيل كجيله. وسر الذبوع في أدب المنفلوطي أنه ظهر على فترة من الأدب اللباب ، وفاجأ الناس بهذه القصص الرائعة الذي نصف الألم وتمثل العيوب في أسلوب طلى وبيان عذوب وسياق مطرد ولفظ مختار ولم تكن القصة في نظر المنفلوطي سوى وسيلة للبلوغ إلى إصلاح المجتمع والشعب على الحظة التي رسمها لنفسه.

والمنفلوطي يكتب بقلبه وعبدته فكان إنشاءه مشبعا من نفسيته وعاطفته الرقيقة، وكانت كل عبارة من عباراتها تخفي في توقيعها الشجي وموسيقاها المختلجة فلذة من قلب ذاك الرجل الوفي المخلص الذي وقف على وطنه ومجتمعه ودينه وحبه وجهوده، ولذلك أبقى أسلوبه ، على ما فيه من بعض الهفوات والعيوب ، أثرا عميقا ، فكان حجة على الذين يرمون النثر العربي بالجمود ، ونموذجا جرى عليه جماعة من النشأ المثقف ، وقد فتح بابا

¹ أحمد هيك، دراسات أدبية، ص: 104.

² أحمد حسن الزيات ، من وحي الرسالة، ج1، ص: 386-390. نقلا عن الكتاب سلسلة الأعمال المجهولة ، مصطفى لطفى المنفلوطي، لعل شلش ، ص: 148، لندن.

جديدا في الكتابة يروق النفس العربية الحديثة إن المنفلوطي في النثر كان كالبارودي في الشعر ، كلاهما أحيا وجدد ونهج ، ونقل الأسلوب من حال إلى حال.¹

وكثير من الأدباء والشعراء والناقدین وصفوه بـ "إمام البيان العربي" ونابغة كتاب عصره، وكذلك أمير البيان وقد ذكره محمد أبو الأنوار في كتابه "المنفلوطي إمام البيان العربي" فيقول، رثاه الشاعر شفيق جبري يقول:

أمير البيان ورب الغرر بكت لهدونك أي السور
مشى وترامى إليك اليبا ن بيتك من أمره ما أسر
تغلغل وحيك في الغوطنين ودب إلى كل قلب أثر
فلم تفجع النيل من دوننا ولكن فجعت بقايا مضر²

ولقبه الشاعر أحمد شوقي بأنه "صاحب لواء العبقرية" ، كما جاء في رثائه الطويل له ، حيث يقول:

سرفي لواء العبقرية وانتظم واسعد شتى المواكب فيه الأتباع
سماء الذكر من أسبابها وأظهر بفضل كالتنهار مذاع
فجع البيان واهله بمصور لبق بواشي الممتعات صناع
جر البيان : قديمه وجديده كالشمس جدة رقعة وشعاع
يا مصطفى البلغاء أي براعة فقدوا؟ وأي معلم يراع³

ويقول عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات: " أشرق أسلوب المنفلوطي على وجه (المؤيد) إشراق البشاشة، وسطع في أندية الأدب سطوع العبير، ورن في أسمع الأدباء رنين النغم، ورأى القراء والأدباء في هذا الفن الجديد ما لم يروا في فقرات الجاحظ،

¹ إسماعيل اليوسف، مقدمة العبرات، ص: 7، مكتبة إحسان لكتاؤ.

² محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 7.

³ الشوقيات، 94/3، دار الكتاب العربي، بيروت نقلا عن الكتاب المنفلوطي إمام البيان العربي لمحمد أبي أنوار ص:

وسجعات البديع، ومالا يرون في غثاثة الصحافة، وركاكة الترجمة، فأقبلوا عليه إقبالهم على مورد الوحيد العذب. .. وكان نفر من المتأدبين يترقبون (مؤيد) الخميس ليقرءوا مقال المنفلوطي خماس، وسداس، وسباع. .. وكلهم يودون لو يعقدون أسبابهم بهذا المنفلوطي الذي اصطفاه الله لرسالة هذا الأدب البكر" ¹

ويصف الشيخ عبد العزيز البشري أسلوبه القصصي تعليقا على ظهور رواية "ماجدولين" للمنفلوطي سنة 1917م قائلا: "قرأت كتبا وأقاصيص بأعيان الكتاب... فلم تنثر شجوني ولم تنل من شؤوني بعض ما نالت (روايتك) فعمرتك الله كيف صنعت حتى برعت هؤلاء جميعا، وبلغت من نفوس القارئ ما تتلمت دونه كل أولئك الأقلام" ²

ويقول طه حسين (سنة 1913م): "وهب السيد المنفلوطي ملكة خارقة تكاد تكون طبعا وسليقة، و إني لأقرأ له القطعة الأدبية فيخيل إلى من سحرها أن نعمة من قلم "هو جو" تهب على، فلا أكاد أتم قراءتها، حتى أهم بإعادتها المرة بعد الأخرى، وأحمد الله أن وجد في هذا العصر من ينفخ في هذا الهيكل البالي روحا جديدا ليحي حياة رغد وهناء" ³

وقال عنه بروكلمان: "إن أشهر كتاب العربية في عهده" ⁴

ونشرت عنه مجلة الرسالة (في 2/2/1940م) على لسان مستشرق انجليزي لم تذكر اسمه، فيقول: "وقد انتشرت كتاباته انتشارا واسعا بين قراء العربية من بغداد إلى مراكش، مما يدل على أنهم ألفوا فيها شيئا قيما، كما كانت تمثل الشعور الذي ترد صداه في العالم الإسلامي أبلغ تمثيل"

ويقول عنه الأستاذ العقاد: " المنفلوطي.... لا يعرف له نظير بين أعلام الأدباء النائرين من مطلع النهضة الكتابية قبل مولده إلى ما بعد وفاته..... بين أدبائنا النائرين من

¹. محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إما البيان العربي، ص: 9، دار المصرية اللبنانية، 1999م.

². المصدر السابق، ص9.

³. المصدر السابق، ص9.

⁴. المصدر السابق، ص9.

استطاع أن يقرب بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الكتابة كما استطاع صاحب النظرات والعبيرات.... فالمنفلوطي قبل غيره هو الذي قارب بين الجمال والصحة على نسقه الصحيح في سهولة لفظ، وضوح معنى وسلامة نغم....¹

فهذه الأقوال تدل على عبقرية المنفلوطي وتجديده في أسلوب الإنشاء العربي كما فعل محمود سامي البارودي في الشعر أنه قد غير وجدد في تقريض الشعر .

فجملة القول أن المنفلوطي كان أديبا موهوبا حظ الطبع في أدبه أكثر من حظ الصنعة وإنما كان أسلوبه في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره.²

المنفلوطي يعد في أدبنا الحديث قمة الاتجاه لظهور النثر العربي المصفى، متحررا من قيود الصنعة والضعف، مغترفا من البيان العربي زاده، ومن ذوق صاحبه موسيقاه، ومن وجدانه وعاطفته صدقه وتأثيره، لقد انفلت بنفسه من كل قيد كان يشده إلى طريقة السابقين وبعض المعاصرين فيقول عنه أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد: "من أشياخ البيان عندنا السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ، أكاد لا أجد له في طريقته مثيلا بين كتابنا... يمتاز باستعمال ألفاظ الخصوص فلا يلبس معنا إلا لفظه الذي يكاد لا يشاركه فيه معنى آخر، يطرق الموضوعات الصعبة البعيدة فيقربها من القاري ويجعله يظن أنها من مألوفاته ولم تكن كذلك من قبل"³.

فطريقة المنفلوطي التي اشتهر به يقال له (حديث القلب) ويعني به: "القول المنثور أو المنظوم الذي تسمعه فتشعر أن صاحبه قد جلس إلى جانبك ليتحدث إليك كما يتحدث الجليس إلى جليسه... حتى ترى حجاب اللفظ قد رق بين يديك، وهو أرقى الأحاديث وأشرفها، وهو الذي يريده المريدون مهما اختلفت عباراتهم وتنوعت أساليبهم من كلمة البيان"⁴.

¹ 1 محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي ، ص: 9 دار المصرية اللبنانية 1999م

² أحمد حسن الزيات، من وحي الرسالة ، ج1، ص: 386، نقلا عن الكتاب سلسلة الأعمال المجهولة مصطفى لطفي المنفلوطي، لعلى شلتن ، ص: 147.

³ المنفلوطي، مختارات المنفلوطي، ص: 8، مكتبة التجارية ، القاهرة.

⁴ المنفلوطي، مقدمة النظرات، ج1، ص: 31.

ثم يصف طريقته في الكتابة فيقول: "ماكنت أحفل من بين تلك الأحاديث بحديث اللسان، ولا حديث العقل، أي إنني ما كنت أتكلف لفظا غير اللفظ الذي يقتاده المعنى ويتطلب".

والحق أن المنفلوطي جهوده قد سبقت منذ جمال الدين والإمام محمد عبده في محاولة التخلص من عناصر الضعف والقيود في اللغة فإن هذه الجهود قد ففز بها المنفلوطي إلى الواقع العملي، ولم يكن بالهين، لا بالسير، ومن ثم فإن المنفلوطي يعد ظاهرة فريدة في عصره جديرة بالإعزاز والإكبار، وقد قال عنه الأستاذ العقاد الذي لا يرجع الكفه بين يديه في سهولة ويسر: " لقد كان المنفلوطي أحد أولئك الأدباء القلائل الذين أدخلوا المعنى والقصد في الإنشاء العربي بعد أن ذهب منه كل معنى، وظل به الكاتبون عن كل قصد ... وليس يظهر فضل هذه الخطوة المباركة إلا للذين وقفوا على بقية من أساليب الإنشاء في الجيل الذي غير قبل نبوع المنفلوطي وإخوانه ، فقد كانت الكتابة في ذلك الجيل قوالب محفوظة تنتقل في كل رسالة ويزج بها في كل مقام، وتعرف قبل أن يمس الكاتب قلمه، ويليق دواته وكانت أغراض الكتابة لخطب المنابر تعاد كل سنة بنصها ولهجة إلقائها ووحدة موضوعاتها، كأنها تعاد من آلة حاكية لا تفقه ما تقول على آلة حاكية مثلها ولا تفقه ما تسمع وانحصرت الذخيرة اللفظية التي تتناول منها الأقلام في أسجاع مبتذلة وأمثال مرددة، وشواهد مطروقة، وآيات من القرآن تقتبس في غير معارضها ويحذر المقتبسون أن يغيروا موضع نقلها وترتيب الجمل التي تسبقها وتلحقها، كحذرهم من تغيير حروف وكلماتها. فإذا جمعت هذه الذخيرة المحفوظة بين دفتي كتاب فقد جمعت عندك ما خطه المنشؤون من قبل، وكل ما في نيتهم أن يخطوه من بعد . هكذا كانت حالة الإنشاء في الجيل الذي سبق جيل المنفلوطي وإخوانه من المنشئين، غير أنها لم تكن كذلك حين أخذ المنفلوطي في الكتابة وظهر في عالم الأدب لأن الكتابة في الصحف والمجلات، والترجمة والمؤلفات الغربية والانتشار الأساليب المختلفة من أسفار الآداب العربية القومية اضطرت الأقلام قبل ذلك إلى اختيار الألفاظ المقصودة، واقتسرت المترجمين والكاتبين على العناية بالمعاني التي يفهمونها فنشطت الكتابة في تعثر، وسلكت على نهجها القديم في بطئٍ وتحير، وبقي فيها أثر من ذلك الجمود كأثر النقاهاة في الوجه، تعريفه في نزاراة المادة والصعوبة التوفيق بين المعاني

الطارئة، والعبارات الميسورة، وفقر الكتاب وعجزهم عن التصرف فيما بين أيديهم من ثروة التعبير فمزية المنفلوطي في هذا الدور الناقاة الهزيل أن برأ من آثار تلك النقاهاة ومشى بقدمين على النهج الجديد الذي دخل فيه المعنى والقصد على الإنشاء العربي وقل ما شئت في تينك القدمين، وذرع خطوهما، واستقامة سيرهما على النهج الجديد فليكن فيهما من الضعف والعيب أو ليكن ماعندهما من الرخاوة والكسل، فإنهما بعد كل ما يقال فيهما ما يقال فيهما قدما آدميتان، وليسا بعضوين من الخشب المنجور"¹

وقد ذكر محمد أبو الأنوار بعد نقل هذه القطعة من المراجعات للعقاد، مع اختلاف العقاد في أن ميزة المنفلوطي أخرى بها أن تحسب لأيامه لا لجرأته وحسن اختياره، فإن المنفلوطي بحق قد برئ الأسلوب على يديه من آثار النقاهاة التي تدل على مرض ملحف قد طال مداه.

قد ابتدع المنفلوطي طريقة جديدة في الكتابة الأدبية غير التي شاعت في العصر العثماني وثقلت بالصناعات اللفظية وألوان البديع ملئت بالتشبيهات والمجازات والكنايات دون وضوح المعنى فيقول عنه الدكتور أحمد هيكل واصفا بأنه العلم البارز في أول مدرسة فنية للنثر الحديث التي يمكن أن تحمل اسمه، فيقال: مدرسة المنفلوطي أو طريقة المنفلوطي² حقا أن المنفلوطي قد أثر في النثر العربي بأسلوبه في العصر الحديث وحوله من حال إلى حال كما أثر الشوقي في الشعر العربي الحديث، مع الاحتفاظ بسعة الفرق بين الرجلين، فشوقي أعلى فنا، وأرسخ قدما وأقدر على العطاء في مجال الشعر من صاحبنا في مجال النثر، ولكن كلاهما كان رمزا لزيادة التطور في فنه آنذاك.

ولعل أصدق عبارة في هذا المقام هي عبارة الدكتور أحمد هيكل، حيث يقول: "والطريقة التي أوضح معالمها المنفلوطي طريقة محافظة بيانية، أشبه بطريقة شوقي في الشعر وقد كان المنفلوطي قمة من كتبوا بها، منذ رادها محمد عبده في الفترة السابقة"³.

¹ مراجعات - العقاد، ص: 172، نقلا عن الكتاب المنفلوطي إمام البيان العربي لمحمد أبو الأنوار ص: مكتبة الدار المصرية اللبنانية. 1999م.

² محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، ص: 87.

³ أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، ص: 166.

ويقول مريده السوري الشاعر أحمد عبيد عام 1925م أو نحو ذلك، "وهو أحد شعراء الأمة العربية وكتابها، ومن أعظم أركان النهضة الأدبية الحاضرة الذين ساعدوا على رفعة شأن الأدب العربي وبلوغه الشأو البعيد الذي وصل إليه اليوم وهو صاحب القلم البديع الجذاب المتفوق في جميع الأغراض والمقاصد حتى سمي بحق "أمير البيان"، ولمؤلفاته وجميع كتبه الخطوة العظمى في جميع الأقطار العربية.

ونذكر هنا الكلمات التي قيلت عنه ووردت في الكتاب "كلمات المنفلوطي" نقلا عن الكتاب سلسلة الأعمال المجهولة، فيقول إبراهيم عبد القادر المازني "فليس من شك في أن المنفلوطي أصاب حظا وافرا من الشهرة واستفاضه السمعة، وأن كتبه العديدة تلقى إعجابا وموافقة ليس بهما من خفاء فإذا كان هذا دليلا على شيء فهذا الشيء عندنا هو أنه ابن عصره، ووليد زمنه الذي نشأ فيه وأن بينه وبين جمهور قرائه تشاكلا لا يزال مستمرا إلى كبير في عصرنا هذا. وقد يصعب على من تأخر به الزمن عن المنفلوطي وورد شرعة أخرى من الأدب أن النجاح الذي وفق إليه رحمه الله من أول الأمر وليس فيما نقول غمط أو تنقص للمنفلوطي وعندنا أن شهرته التي نالها بجده وكده وبملائمته لروح عصره مما استحقه في حياته بلا مرأى.¹

كلمات المنفلوطي

إن خير ما ينتفع به الأديب من أدبه أن يترك يوم وداعه هذه الدنيا صفحة يقرأ فيها الناظرون في تاريخه من بعده صورة نفسه ومضطرب آماله.



إن الرحمة كلمة صغيرة، ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها والشمس في حقيقتها.



¹ سلسلة الأعمال المجهولة، مصطفى لطفى المنفلوطي، ص: 144.

لا سبيل إلى السعادة في هذه الحياة إلا إذا عاش الإنسان فيها حرا لا يسيطر على جسمه وعقله
ونفسه ووجدانه وفكره مسيطر إلا أدب النفس.



الحرية شمس يجب أن تشرق في كل نفس. فمن عاش محروما منها عاش في ظلمة حالكة،
يتفصل أولها بظلمة الرحم وآخرها بظلمة القبر.



المرأة الشرقية من حيث ذاتها صديقة الزوج وخادمتها، والمخالصة إليه، والوفية بعهدته،
والمنقطع عن كل شيء سواه. إن تعبت ففي قضاء حاجته، أو تجملت بالملابس فلأجله، أو
ابتسمت فلإدخال السرور على نفسه، أو بكت لحزنها عليه، أو جزعت فلملّة أمت به.



الإحسان شيء جميل. وأجمل منه أن يحل محله، ويصيب موضعه. لا يستطيع الباطل أن
يصرع الحق في ميدان، لأن الحق وجود والباطل عدم. وإنما يصرعه جهل العلماء بقوته،
ويأسهم من غلبته وإغفاله النداء به والدعاء إليه.



لا فرق عندي بين السياسيين والجلادين إلا أن هؤلاء يقتلون الأفراد وأولئك الأمم.



أما الفقير فهو عندي أسعد الناس عيشا وأروحهم بالا إلا إذا كان جاهلا ضعيفا، فإني أراه وقد
ملك الوهم عليه ومشاعره فظن أن الغني أسعد منه حظا وأرغد عيشا وأثلج صدرا فحسده
على تلك السعادة التي يزعمها له فجلس في كسر بيته جلسة الكئيب المحزون يصعد الزفرة
فالزفرة ويرسل الدمعة إثر الدمعة. ولولا جهله وضعف قلبه لعلم أن رب قصر يتمنى صاحبه
كوخ الفقير وعيشه.



ما السعادة في الدنيا إلا لمحات كلمحات البرق تخفق حيناً بعد حين في ظلمات الشقاء فمن لا يرى تلك الظلمات لا يراها.



لكل نفس همومها وآلامها، وهموم الفقر على شدتها أقل هموم الحياة وأهونها.



الدموع هي الرحمة العامة التي يلجأ إليها المنكوبون والمحزونون يوم لا يجدون لأنفسهم في مذهب من مذاهب الأرض أو في شعب من شعاب السماء ناصراً ولا معيناً.



الدموع هي السلاح الوحيد الذي تعتمد عليه المرأة في جميع شؤونها وعلاقتها.



إن التاج الذي يتناوله متناوله من يد عدوه ليس بتاج الملك إنما هو قلنسوة الإعدام.



إن الجبهة العالية لا تحتاج إلى تاج يزينها وإن الصدر المملوء بالشرف والفضيلة لا يحتاج إلى وسام يتلألأ فوقه.



إن من لاخير فيه لماضيه فلا خير لحاضره ومستقبله.



العمل هو ينبوع الحياة ومادتها التي لا تنفئ.



إن السعادة ينبوع يتفجر من القلب، لاغيث يهطل من الماء. وإن النفس الكريمة الراضية البريئة من أدران الرذائل وأقذارها ومطامع الحياة وشهواتها سعيدة حيثما حلت، وأني وجدت. فمن أراد السعادة فلا يسأل عنها المال والنشب والفضة والذهب والقصور والبساتين والأرواح والرياحين، بل يسأل عنها نفسه التي بين جنبيه فهي ينبوع سعادته وهنائه إن شاء ومصدر شقائه وبلائه إن أراد¹.



هذه الكلمات المنتخبة من تأليفات المنفلوطي التي جمعها أحمد عبيد وقد أخذت بعضها من الكتاب "سلسلة الأعمال المجهولة" للمنفلوطي وقد حققها على شلش.

¹ علي شلش، سلسلة الأعمال المجهولة، مصطفى لطفى المنفلوطي، تحت عنوان كلمات المنفلوطي. ص: 105.

الباب الثالث

النزعة الإنسانية في كتابات المنفلوطي

الفصل الأول: تطور النزعة الإنسانية في الأدب العربي

الفصل الثاني: مظاهر النزعة الإنسانية في قصص المنفلوطي

الفصل الثالث: مظاهر النزعة الإنسانية في مقالاته

الفصل الأول

النزعة الإنسانية في الأدب العربي

التعريف:

النزعة الإنسانية هي اتجاه فكري عام يشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية. وهي من المذاهب الأدبية الحديثة التي ظهرت على سطح الأدب العالمي على يد الظلم والاستبداد والطغيان الملكي على عامة الناس في القرن الرابع عشر الميلادي في إيطاليا وهي تؤكد على جدارة الإنسانية الجوهريّة وكرامتها وشرفها وفضيلتها على جميع العالم. وهي تركز على أن الإنسان أحرى أن يحيى حياة السعادة والكرامة في المجتمع الإنساني.

وتعتبر طبقة العلماء العلمانيين أن الإنسان جوهر حقيقي لهذا الكون والحياة وهو يستحق أن يستفيد من جميع الموارد البشرية والمصالح الكونية فإن الإنسان ليس عبداً لملك أو خادماً لشخص وهو يملك قوة القيادة والسيادة بنفسه ولنفسه.

وقد اعتقد إنسان عصر النهضة الذين استمدوا معتقداتهم من دراسة الشعراء القدماء والمؤرخين والفلاسفة الكلاسيكيين أن الإنسان هو في الحقيقة مركز الكون وأن السعادة من حقه، وتعتبر أن للفرد جوهرًا إنسانياً يجعله محلاً لحقوق في الحرية والكرامة بصرف النظر عن الطبقة والعرق واللون والجنس.

النزعة الإنسانية تعطي الأولوية للحاجات الإنسانية ومصالحها فهي في الأدب تشير إلى الاهتمام بالمروءة والكرم لجميع البشر.¹

ولعل أبرز ما يميز الإنسان هو وجود الفكرة وهو إن فخر فإنما يفخر بها، وإن حقيقة وجودها تقل أهمية عن حقيقة وجوده، وهي التي تعطي لهذا الوجود قيمته.

فالإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات. وأكثر استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية إنما هو للمحامد. فالنزعة الإنسانية هي القيم المنتزعة من تجارب الناس بهدف إقامة علاقات إنسانية قائمة العدل والتألف، وهي في إحدى معانيها، فلسفة تؤكد قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات باعتماد العقل، وأهم الشيء في النزعة الإنسانية، التسامي

¹ الدكتور بهاء الدين محمد مزيد، النزعة الإنسانية في الرواية وبنات جنسها، العلم والإيمان للنشر والتوزيع الموسوعة العربية. (إسكندرية 2008) الموقع: www.arab-ency.com/index.php?Moddle=pnEncyclopedia&fun

والتغليب الروحي والنفسي على البيولوجي، والسعي إلى إعلاء الفكر الإنساني. وتكون الفكرة الحرة من أجزاء النزعة الإنسانية، والمساواة غاية رئيسية فيها.

ومن المعلوم أن النزعة الإنسانية تدعو إلى دين الحق إلى حد كبير.. كما جاء الإسلام وشجع على الجوانب الإنسانية ويدعو إلى احترامها وتنميتها، وعلى الرغم أن بعض الفلاسفة حاولوا في موقع المخالف.¹

استمر العديد من المفكرين في العصور الوسطى الإسلامية في الثقافات الإسلامية العقلانية والعلمية خلال بحثهم عن المعارف والمعاني والقيم. وكثيرا ما توجد من الكتابات الإسلامية عن الحب والشعر والتاريخ والتوحيد الفلسفي أن الفكر الإسلامي في العصور الوسطى كان مفتوحا للأفكار الإنسانية الفردية². وقد كتب المتكلم المعتزلي أبو هاشم الجبائي كتابا باسم "الكلام في الإنسان" وكذلك كتب عبيد الله بن الأنباري "البيان عن حقيقة الإنسان"، ومنها الكتب الفلسفية في شأن الإنسان التي تنسب إلى الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي مثل "كتاب ماهية الإنسان" وكتاب أحمد بن طيب السرخسي: كتاب "سيرة الإنسان" وكتب ابن العربي كتاب "البيان في حقيقة الإنسان"، وكتاب "نسخة الأكوان في معرفة الإنسان".

وكذلك هناك عبارات قالها حكماء العرب في أمر الإنسان، منها قول يحيى بن معاذ: إني وجدت أمر الإنسان أمرا عجيبا ومثل ذلك قول أحد أصحاب أبي حنيفة: لاشيء أحسن من الإنسان، وقول المسعودي لم يخلق الله تعالى أفضل وأحسن ولا أجمل من الإنسان.³

النزعة الإنسانية في العصر الجاهلي:

وما من شك في أن العرب في العصر الجاهلي كان يعرف الإنسانية، من المحامد ومكارم الأخلاق على الرغم أن الناس في العصر الجاهلي كانوا يقضون حياة قبلية فيتمتعون بكل أنواع الحريات في حياتهم مثل حرية الرأي والتعبير والاستيطان في مكان ما. وما كان

¹ الموسوعة العربية، النزعة الإنسانية، الموقع www.arb-ency/index

² ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الإنسانية، الموقع www.arwiki.org/wiki

³ جهاد الفاضل: النزعة الإنسانية، في تراث الإسلامي جريدة الرياض. الموقع: www.alriyadh.com 16/0/90

يربطهم أي نظام سياسي ومدني أو اجتماعي إلا أنهم يحترمون بيت الله ويأتون للحج من كل أنحاء العرب ويتجنبون عن الحرب والفساد في أيام الحج، فكانوا يعقدون الأسواق ويقيمون فيها كثيرا من أنواع النشاطات الاجتماعية والتجارية كما أنهم كانوا يستخدمون هذه المواسم لعقد الصلح بين القبيلتين المتحاربتين.

وإنهم كانوا يرون أن الكرامة البشرية والحمية القبلية والجود والسخا وإجارة المضطر وإعانة المظلوم وإيفاء العهود واستضافة الناس والحماية عن العرض من أعلى مدارج الإنسانية وينبغي لكل طامع أن يطمع إليها.

كما كانوا يعتقدون بأن هذه حياة قصيرة وهناك حياة أخرى بعد الموت فعلى الإنسان أن يعمل على نجاح تلك الحياة.

وهناك في الشعر الجاهلي مادة كثيرة تجيء تحت مفهوم النزعة الإنسانية مثلا، الوقوف عند الموت الذي يفني البشر جميعا، ولا ينجو منه أحد.

فيقول طرفة بن العبد:

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى
بعيد الغد، ما أقرب اليوم من غد

وقال زهير ابن أبي

سلمى:

تزود إلى يوم الموت فإنه
ولو كرهته النفس آخر موعد

ولذلك كثير من الشعراء انشغلوا في الحصول على القيم والأخلاق والصفات والأعمال التي تخلد ذكر الإنسان بعد موته مثل قيم المدح والفخر بالفروسية والشجاعة والمروءة والكرم والنسب والعفة والصدق والوفاء.

لذا قال زهير بن أبي سلمى:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

و يقول عروة بن الورد ناقدا على المجتمع:

ذريني	للغني	أسعى	فإنى
رأيت	الناس	شرهم	الفقير
قليل	ذنبه	والذنب	جل
ولكن	للغني	رب	غفور

أما قس بن ساعدة الإيادي فكر في وجود الإنسان وحياته ومآله بعد موته ويعبر عن ذلك في خطبته المشهورة التي ألقاها في سوق عكاظ في الجاهلية.

" من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت...."

وما بال الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا"¹.

وفي العصر الجاهلي أن الشعراء كانوا يقرضون الأشعار لإشعال نار الحرب والمشاعر الجنونية في الحرب ولكن بعض الشعراء يستخدمون الأشعار لإشعال العواطف الإنسانية والرقة القلبية على سوء الحالة الاجتماعية كما وقع مع "الملحق" من قبيلة كلاب كان له ثماني بنات وكان الرجل يعاني من البؤس والفقر ولا يكاد يزوج بناته. فذات يوم دعا الشاعر الكبير أعشى إلى الطعام وذبح له ناقة وأعد له طعاما شهيا وبالغ في استضافته وإطعامه

¹ الموسوعة العربية، النزعة الإنسانية في الأدب العربي، الموقع كما سبق، وحسن الزياد، تاريخ الأدب العربي، ص: 20.

وقص عليه قصته لعدم زواج بناته بسبب سوء حالته وفقره. فتأثر الشاعر بهذا الوضع ولما وصل إلى سوق عكاظ قرض قصيدته في مدح الملق وجوده.

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار في اليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والملق
رضيعةً لبانٍ ثدي أم تقاسما
بأسحم داج عوض لانتفرق¹

ولما انتهى الشاعر من قصيدته في مدح الملق جعل الناس من الأمراء والأغنياء يخطبون لبناته وفي سنة واحدة تم زواج جميع بناته من النبلاء والأغنياء.

فهذه الحكاية تدل على مدى تأثير الشاعر في العصر الجاهلي من جانب والنزعة الإنسانية ومساعدة الناس لرجل فقير من جانب آخر.²

وينظر زهير بن أبي سلمى إلى الحرب نظرة مغايرة لما هو شائع في عصره، فهي تطحن الناس وتهلكهم وهم الذين يوقدون نارها أو يطفئونها:

وما الحرب إلا ما علمتم ونقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضرى إذا ضربتموها فتضرم³

¹ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص: 33.

² تاريخ الأدب العربي باللغة الأردنية لعبد الحليم الندوي، ج: 1، ص: 232، قومي كونسل، دلهي،

³ الموسوعة العربية، النزعة الإنسانية، الموقع كما سبق. وحسن الزيات، تاريخ الأدب العربي.

وبالجملة أن الإنسانية في الشعر الجاهلي توجد كثيرا كما توجد في عصور أخرى.

النزعة الإنسانية في العصر الإسلامي والأموي

يعتبر ظهور الإسلام في العرب منعطفًا في تاريخ العالم وبخاصة في التاريخ الإسلامي، لأن الإسلام قد وحد صفوف القبائل وأخرجهم من الظلمات إلى النور وأعطاهم تصور الحياة ومعناها. فالإسلام معتمد على ثلاثة قواعد هامة؛ الإيمان بالله وبالرسل وباليوم الآخر. والإنسان في هذه الدنيا مخلوق من الله سبحانه وتعالى والدنيا هي مزرعة للآخرة، فليس على الإنسان إلا ما سعى لنجاحه في الآخرة وقد أرسله الله تعالى أنبياء ورسلا ليبلغوا رسالات ربه إلى عباده فالإنسان عبد الله تعالى وكل شيء مسخر لخدمة حضرة الإنسان، ولا فرق بين إنسان وإنسان بل هم أولاد من أب وأم. فلا يجوز لإنسان أن يخذل أو يسخر أو يفرق بين إنسان وإنسان على أي أساس: اللغة والقبيلة والوطن والنسل وما إلى ذلك. فقيمة الإنسان في القرآن تأتي من إيمانه وطاعته وليس من أي سبب آخر (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير). (الحجرات 13)¹ وليست الفضيلة لإحد عند الله إلا من يكثر من الأعمال الصالحة وهكذا أزال القرآن كل الفوارق البشرية وأعطى أساسا واحدا بأن أصل الإنسان واحد وهو من أب واحد وأم واحدة. وحرّم على الناس أن يقتل أحد أحدا فيقول: (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا). (المائدة 34)² هكذا منع الناس من القتل والحرب والمحاربة وأثبت في نفوسهم قواعد المحبة والسلام والأمن لأخيه.

وفي الحديث الشريف (وليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى) وسار على هذا المنهج الخلفاء الراشدون، ففي وصية الخليفة الأول أبي بكر الصديق إلى قائد جيشه أسامة بن زيد، أن الغاية من الحرب سعادة الإنسان ولا يقصد به القتل والتدمير وكذلك لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا. ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف

¹ القرآن، الحجرات، رقم آية: 13.

² القرآن، المائدة، رقم آية: 34.

تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم¹ أما عمر بن الخطاب فيكفي أن يشار إلى تنبيه لوالي مصر لعمر بن العاص بقوله "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

وأما حرية التعبير التي تعتبر من أهم حقوق الإنسان ومن سلب هذه الحرية فلم يبق له في الحياة شيء، لأن الفرق بين الإنسان والحيوان بأنه حيوان ناطق والآخر غير ناطق، فكأنه وضع في محل الحيوانات، فلذا منح الإسلام حرية تامة في التعبير عن الرأي حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الجهاد كلمة الحق عند سلطان جائر أو جابر. وقد برز في الشعر الجانب الروحي في حياة الإنسان والحرص على تنميته والزهد عن الدنيا. كما قال نسر بن سيار:

دع عنك دنيا وأهلا أنت تاركهم
ماخير دنيا وأهل لايدومنا
واكثر تقى الله في الأسرار مجتهدا
إن التقى خيره ما كان مكنونا

وخلاصة القول إن الدين الإسلامي الحنيف هو مبني على النزعات الإنسانية المتوازنة ولن تجد مثل هذه التعاليم المعادلة في مكان ما.²

العصر الأموي

يعتبر العصر الأموي منعطفًا آخر في التاريخ الإسلامي حيث يبدأ منه النظام الملكي الوراثي فكان الملك يسمى الخليفة ويساعده وزرائه ويحكم مختلف الولايات بواسطة الولاة الذين ينتخبهم ممن يشاء فما كان الشيء يمنعه أو يقيد به بأيديه إلا الشريعة الإسلامية وما كان أحد فوّه إلا القضاة، ويتميز العصر الأموي باتساع نطاق القطعة الإسلامية من إيران إلى الهند

¹ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ج:2، ص: 124.

² الموسوعة العربية، النزعة الإنسانية. الموقع كما سبق.

وإلى حدود الصين ومن شام إلى إفريقيا وأندلس وكأنه سيل إسلامي يفتح بلدا إلى بلد بدون أي مانع.

وشيء آخر يعود الفضل فيه إلى الخلفاء الأمويين أنهم جعلوا اللغة العربية لغة رسمية. وهذا مما جعل الناس يهتمون بتعليم اللغة العربية، إذ أنها كانت لغة الدين الإسلامي الحنيف ولغة الأمة المنتصرة التي كانت تحكم مختلف الشعوب والأمم. وكان الأمويون شديد الحرص على محافظة اللغة العربية وإبقاء الحكم على العرب كما كانوا لا يحبون أن يشارك في الحكم أحد من الأعاجم إلا في الوظائف المكاتبية والأمور التافهة، ولكن الإسلام دين يرى الناس بنظرة متساوية، ومقاييس الشرف والفضيلة والتقوى، وليس بالنسل والوطن واللون، فاعتنق الناس الإسلام أفواجا وسارعوا إلى الحصول على مهارة في الدين، فبدأ امتزاج الثقافات والحضارات وبدأت حركة الترجمة من اللغات الأجنبية¹.

أما الكتب الدينية والأدبية الأخرى فنرى بعض الاهتمام بهذه الأمور في ذلك العصر حيث أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز لجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وأما الأشعار التي قرضت في هذا العصر فهو ثمين جدا من الناحية اللغوية وكان الشعر على نفس النسق والنمط كما كان في العصر الجاهلي، ونوع الهجاء من الشعر تطور تطورا بالغا حتى سمي في التاريخ العربي الأدبي "بالنقائض" وكان أبطالها جرير والفرزدق والأخطل.

والشيء الثاني الذي تطور تطوار واسعا في هذا العصر الأموي هو الخطابة فبرز الخطباء أنواعا من السياسيين والواعظين والقصاص وأما الموضوعات التي تناولت هذه الخطابات في هذا العصر فهي حق الخلافة يعني أن الخلافة حق ديني لأسرة من الأسر أو حق عام للجميع. وكذا الموضوعات الدينية أي التمسك بالدين وقيمه وقوانينه والدنيا هي مزرعة الآخرة ومن أبطالها حجاج بن يوسف وزياد بن أبيه.

أما الخطابة الدينية فأروع مثال لذلك حسن البصري وقال في خطبة له " رحم الله امرء كسب طيبا وأنفق قصدا وقدم فضلا، حيث وجهها الله ووضعها حيث أمر الله، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا

¹ حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص: 153.

ففضحها فلا والله ما وجد ذولب فيها فرحاً فإياكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة وميعادها النار أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا أجنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم، يناجون مولا هم في فكاك رقابهم".¹

فإن الموضوعات التي تناقش هو ما هو الإنسان وما حقوقه من حيث الإنسان بدون أي تمييز على الدين والنسل واللون، كان عامة الناس حتى الحكام والأمراء يرون التعاليم الإسلامية ذات النزعة الإنسانية ونموذجاً لأنفسهم، وكان الناس يلتزمون بكل المحامد والأخلاق الإنسانية ويتحلون بها أنفسهم بل كان أشرفهم وأنبههم من كان أتقاهم عند الله ويؤدي حقوق العباد وحقوق الله.

النزعة الإنسانية في العصر العباسي

إن العصر العباسي يسمى بالعصر الذهبي للإسلام لأنه حافل بتطورات علمية هامة في مختلف المجالات، بل إنه وريث لجميع الحضارات والنشاطات التي ظهرت في العصور الغامرة، فجاءت الحضارة العربية الإسلامية لتحضن أحسن ما كانت تتواجد في العالم حتى ذلك الوقت، وبدأ التفاعل الحضاري بالترجمة إلى العربية وكذلك نرى في هذا العصر أن الخلفاء يهتمون بترجمة الكتب الأجنبية العربية، فإن الخلفاء فتحوا أبواب الخزينة لمن يترجم كتاباً يستحق بالاهتمام والتقدير وكان يكيل كتابه بالذهب والدينار وكان التشجيع من الدولة دفع إلى إنشاء ديوان الترجمة وكان من بين المترجمين الفارسيين واليونانيين والهنود ومن كل اللغات الأجنبية الهامة في ذلك الوقت فهكذا تعرفوا على علوم الأقدمين من علوم السياسة والفلسفة والمنطق وعلم الكلام والطب والهندسة وما إلى ذلك ونشأ جيل وبدأوا يضيفون في هذه العلوم فإذا نرى تطور الطب والحكمة وما إلى ذلك وقد أثرت هذه العلوم والفنون في انفجار علمي في هذا العصر أن المسلمين دونوا علومهم ومعارفهم على طراز العلوم الأجنبية مستفيدين منها، فجاء علم التفسير وعلم الحديث وفروعه وعلم الفقه ومختلف المذاهب الفقهية ولذا نرى كبار علماء الحديث مثل الإمام البخاري والإمام المسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، والإمام أحمد بن حنبل كلهم ينتمون إلى هذا العصر.

¹ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج:2 ص:449 دار المعارف.

وأما الأدب العربي وتطوره فهو من أخصب العصور فدونت فيه علم النحو والصرف وعلم البلاغة وعلم المعاني والنقد وما إلى ذلك. فكل من التطورات العلمية والأدبية تنسب إلى هذا العصر الذهبي للإسلام، فإن الشعراء والأدباء المفكرون ينظرون الناس من حيث أن الكرامة البشرية للجميع. فكل كان سواء أمام القانون والنظام بصفة كونه بشرا فكانوا يرون الخصائل الحميدة للملوك والأمراء والوزراء والأثرياء غير ما تكون لعامة الناس. فإذا أخذت أحوال المجتمع وساء النظام والقانون ويظلم الملوك والأمراء على الرعية ويعاني الناس من الألم واليأس فينهض أحد من الصالحين والزهاد والأدباء لينبهوا هؤلاء إلى أن يصححوا أمورهم ويفعلوا مايليق بهم وعلى سبيل المثال أشهر وأبرز الأدباء في العصر العباسي عبد الله ابن المقفع، جاء بكتاب كليله ودمنة، وهذا الكتاب يحتوي على قصص وحكايات على السنة البهائم ولكنها في الحقيقة كتاب إصلاح الملوك والحكام ومن يقوم بشؤون الرعية، فماذا عليه وما ذا له. وكيف يعامل مع الناس وكيف يصبح محمودا مأجورا عند الله وكيف يصل إلى المنزلة العليا فهذا خير مثال في هذا العصر الذهبي للإنسانية.¹

والحب شريعة إنسانية في الحياة الذي يعيش، ومظاهر النزعة الإنسانية الاهتمام بالصدق على أنه المساعد والمعين وسر النجاح وموطن المشورة والنصح كما قال "بشار بن برد"

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن
برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك عضاضة
فإن الخوافي قوة للقوادم

وقد زاد الحس الإنساني في شعر أبي العلاء المعري الذي يدعو الإنسان إلى المكان المناسب له، واكتساب القيم والأخلاق الحميدة فيقول:

ولو أني حبيت الخلد فردا

¹ أحمد حسن الزيات/ تاريخ الأدب العربي، ص: 163، وشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج:2، ص: 507.

لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

ويظهر الحس الإنساني المرهف والنزوع إلى التفكير في الحياة والموت والبقاء والخلود
تفكرا فلسفيا يؤكد انشغال الإنسان الدائم في فكرة الموت والبقاء وما على ذلك من علاقات
بين البشر في قصيدة أبي العلاء:

غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح باك ولا ترنم شادي

صاح هذا قبورنا تملأ الرحد
ب فأين القبور من عهد عاد

رب لحد قد صار لحد مرارا
ضاحك من تزام الأضداد

سران استطعت في الهواء رويدا
لاختيالاً على رفات العباد

خفف الوطئ ما أظن أديم
الأرض إلا من هذه الأجساد¹

فهذا هو خير مثال من الشعراء الذين تناولوا موضوع الإنسان ومشاكله متأملاً في مصائبه
ومشاكله إلى حد كبير ودعا إلى العدل والمساواة والأخوة الإنسانية.

النزعة الإنسانية في العصر الحديث

¹ الموسوعة العربية الموقع كما سبق

وتكتسب النزعة الإنسانية في العصر الحديث زخماً جديداً نتيجة لأمر كثيرة منها اتساع البعد الثقافي والمعرفي لدى الأدباء والشعراء وزيادة التمازج الحضاري بين الشعوب وتطور الدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماعية وظهور تيارات متعددة ومتناقضة تسعى إلى قيادة المجتمعات من أفكار ومبادئ في السياسة والإقتصاد والمعتقدات وغيرها مما كان الإنسان محوره وأساسه، وقد انعكس ذلك على صفحات الأدب شعراً ونثراً ولاسيما مع ظهور أنواع أدبية جديدة في الأدب العربي كالفنسة والرواية والمسرح والمقالة من فنون النثر.

فإن الأدب العربي الحديث تطور تطوراً شاملاً بعدما طرأ عليه الركود والجمود فمن جانب واحد تشعبت موضوعاته وفروعه وتقدم إلى أن يعد من الآداب العالمية وطرأ هذا التطور في الأدب العربي بسبب إزدهار العقل العربي واتصاله بالغرب وتم ترجمته العلوم والفنون إلى اللغة العربية من اللغات الشهيرة ثم انشاء المطابع ودور النشر وبعد ذلك انتشار الصحافة وتغير النظام السياسي في البلدان العربية وبخاصة في مصر. وما منح الناس حرية الرأي والتعبير فاصبح مخاطبة الشعراء والأدباء الشعب وعامة الناس. فحينما بدأت الصحافة فالشعر والنثر تخاطب عامة الناس فكان من الطبيعي أن يتناول ما بهم هذه الطبقة من أمور ومشاكل وبذلك عالج الشعراء والأدباء قضية الإنسان وما يجب عليه وما له من حقوق الإنسان وما يستحق المرء بكونه إنساناً ولذا نرى في هذا العصر أن لا يوجد هناك شاعر أو كاتب إلا تناول مشاكل الناس وقضاياهم وكل كتب عن الإنسانية والمساواة والعدل والحرية التامة حتى أن البعض أعتقلوا بسبب انتقاد الحكام لمظالمهم أو سوء سياستهم.

وإن الأدباء في هذا العصر قد وجدوا القصة والرواية أسهل طرق للتعبير عن ما يوجد في نفوسهم. كما أنهم استخدموا هذا الفن لتصوير معاناة الشعب والقضايا الإنسانية، وتناولوا الحديث عن الأشخاص الذين يعانون الظلم والاضطهاد والنبذ والتهميش والقمع ولاسيما عند الشعراء الرومانسيين. وقد كان السجن في الرواية العربية موضوعاً أثيراً لدى القصاص نتيجة معاناة عدد من الروائيين منه، وقد ظهرت مجموعة أفكار جديدة نتيجة توسع المجتمعات وتعدد المذاهب والمعتقدات في المكان أو الوطن الواحد مما دعا إلى إشاعة روح

التآلف والتعاون لا التباعد، فأحمد شوقي يرى العرب موحدين في النسب وإن تعددت الأديان.

إنما نحن مسلمين وقبظا
أمة وحدثت على الأجيال

وإلى الله من مشى بصليب
في يديه ومن مشى بهلال

ودعا معروف الرصافي إلى التسامح الديني في أبياته:

إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة
لسان وأوطان وبالله إيمان

فأي اعتقاد مانع من أخوة
بها قال إنجيل كما قال قرآن

كتابان ينزلهما الله ربنا
على رسله ليسعد إنسان

ويقول معروف الرصافي معبرا عن قلق قلبه وشكواه ضد الظلم وسلب الحرية

يا قوم لا تكلموا
إن الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا
ما فاز إلا النوم
وتأخروا عن كل ما

يقضي بأن تتقدموا
ودعوا التفهم جانبا
فالخير أن لاتفهموا
أما السياسة فاتركوا
أبدا ولاتندموا¹

وقد برزت النزعة الإنسانية بوضوح كبير عند أدباء المهجر وشعرائه ولعل يرجع ذلك إلى معاناتهم التي أوجأتهم إلى الاغتراب عن أوطانهم وأهليهم، ومن ثم معاناتهم في بلاد المهجر وما واجهوه من ظلم وتفرقة وغير ذلك مما حملهم على التنبيه للحفاظ على الإنسان وإنسانيته ويأتي في مقدمة هؤلاء جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة والقروي، وإلياس فرحات، وشفيق معلوف وأمين الريحاني، ميخائيل نعيمة وغيرهم. وقد اشتهرت قصيدة إيليا أبو ماضي لما تضمنته من قيم إنسانية رائعة.²

نسي الطين ساعة أنه طين
حقير فصالَ يتهاً وعربد

يا أخي لاتمل بوجهك عني
ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

ولقلبي كما قلبك أحلام
حسان فإنه غير جلمد

قمر واحد يطل علينا
وعلى الكوخ والبناء الموطن

¹ زهرة الشرق، معروف الرصافي، الموقع، www.zahrah.com

² الموسوعة العربية

أنا أولى بالحب منك وأحرى
من كساء يبلي ومال ينفد¹

وأما فقد ظهرت في كتاباته مواقف الإنسانية مثل الشفقة على الفقراء والمساكين واليتامى،
والسعي إلى إعلاء منزلة الفكر الإنساني وقد دعا إلى الحرية والعدالة والاحترام وعدم
الإفراط والتفريط في الطبيعة، فيقول:

كان لي بالأمس قلب قضى
وأراح الناس منه واستراح

ذاك عهد من حياتي قد مضى
بين تشبيب وشكوى ونواح

إنما الحب كنجم في الفضاء
نوره يمحي بأنوار الصباح

وسرور الحب وهم لا يطول
وجمال الحب ظل لا يقيم

وعهود الحب أحلام تزول
عندما يستيقظ العقل السليم²

وتبدو النزعة الإنسانية واضحة جلية في كتب طه حسين مثل "المعذبون في
الأرض" الذي تناول مفاصد المجتمع ويصور لنا كيف يمكن أن يسود الإخاء والمساواة
والحب الإنساني في المجتمع، وما هي الكرامة البشرية؟ وكيف يمكن تحقيقها؟

وكذلك المنفلوطي الذي بكى بكاء حارا على آلام الشعب ومعاناته وانتقد برجال الدين
لاستغلال الناس بعقائدهم الفاسدة كما انتقد بالسياسين الذين يحكمون الشعب بالجور والظلم

¹ الموسوعة العربية العالمية www.abab.com

² مننديات الأستاذ: الموقع www.psofvb.com

وكذلك أعلى صوته ضد الظلم على المرأة والضعفاء وفي حفاظ حقوقهم الواجبة ويمكن أن نلاحظ كتابه "النظرات" في هذا الصدد، ولديه معايير ومقاييس للسعادة والشقاوة، فإنه لا يرى غنا كدليل السعادة، فينتقد بمن يرى كذلك " أنا سعيد لأنني غني، وأنت شقي لأنك فقير، لا أستطيع أن أتصور أن الإنسان إنسان حتى أراه محسنا، لأنني لا اعتمد فصلا صحيحا بين الإنسان والحيوان إلا الإحسان". فهذه عدة أمثلة للنزعة الإنسانية ومفهومها في الأدب العربي الحديث وكما أني ذكرت في البداية أن كل الأدباء في هذا العصر تناولوا هذه القضية ولا يسع المجال أن نذكر هنا آدابهم وكتابتهم، ويتضح لنا أن همهم الأكبر أن يعلو الإنسانية وينشر التصور الإنساني ورسالاته إلى أنحاء العالم وقد نجح إلى حد كبير أدبائنا المعاصرون في هذا الصدد.

الفصل الثاني

النزعة الإنسانية في قصص المنفلوطي

ماجدولين أو (تحت ظلال الزيزفون)

هذه الرواية من تأليف الكاتب الفرنسي "الفونس كار" قام بتلخيصها وترجمتها السيد مصطفى لطفي المنفلوطي مع بعض التصرف وهي: تحكي قصة شاب بائس فقير يدعى (استيفن)، وقد استأجر الطابق العلوي من منزل رجل فقير له فتاة جميلة تدعى ماجدولين، وكان لها المنزل الذي يحيط به - على صغره - حديقة غناء، وتحفه البساطة والهدوء من كل جوانبه ويشعر سكانه بالاطمئنان والراحة التامة.

كانت "ماجدولين" على صلة وثيقة لصديقتها "سوزان" وكان حبل المراسلة دائم الاتصال بينهما.

أما استيفن فكان صديقا لوالدها، حيث يربط الود والتفاهم و صداقتهم برباط وثيق، وكثيرا ماكانوا يتناولون أحاديث النباتات بينهم أما العلاقة بين "ماجدولين و "استيفن" فكان يغلبها حياء "ماجدولين" فلم يظهر حبهما إلا بعد فترة طويلة.

وعندما ربط الحب بينهما رباطه وبذر بذوره العميقة في قلوبهما، كانت الحديقة هي الموطن الأول لهما، فأعجب "استيفن" بجمال "ماجدولين" وصفاء نفسها ونضارة شبابها، وأعجبت هي الأخرى بسمو خلقه وطيبة نفسه، وشجاعته النادرة، فأخذ يتجاذبان أطراف الأحاديث في صفاء ولا يشوبه كدر ولا ينقصه منقص بين أحضان تلك الطبيعة الفيحاء.

وهكذا توالى أيام سعادتهما ولحظاتهم، ووقد مضت أيام السعادة دون أن يحسب أحدهما لصدمات الدهر. وتتكرر اللقاءات بين "استيفن" و "ماجدولين" في أحضان الطبيعة الخلابة وعلى ضفاف النهر أو تحت شجرة الزيزفون القائمة في حديقة المنزل أو في سفينة تجري بهما على سطح البحيرة القريبة، فيحلم العاشقان بزواج سعيد يصوران في خيالهما صورة بينهما المقبل تحيط به حديقة تمتلئ بأزهار البنفسج وأشجار الزيزفون.

لكن السعادة التي بدأت تلوح معالمها في حق الحبيبين قطعها والد الفتاة حين صارح ابنته بأنه غير موافق على التي تربطها بفتى فقير مثل استيفن، لا يستطيع أن يوفر لها السعادة

المبتغاة، وحينما حاولت ماجدولين أن تقنع والدها بالعدول عن رأيه كتب إلى الفتى رسالة عاجلة يدعوه فيها إلى مغادرة المنزل والبعد عن ابنته، فجاءت ماجدولين إلى حبيبها تودعه الوداع الأخير حيث تعاهدا على الوفاء واتخذ كل منهما في إصبعه خاتما من شعر حبيبه أملين أن يمن الله عليهما باللقاء من جديد ويحقق حلمهما في الزواج، ورغم افتراق الحبيين ظلت الرسائل بينهما، ذاهبة آية، وفي تلك الأثناء عاد استفن إلى منزل والده الذي أراد أن يزوجه فتاة ثرية، فأقام لهذه الغاية حفلة راقصة في داره، وطلب إليه أن يتودد إلى تلك الفتاة، فلم يشأ أن يغضب أباه، لكنه صرح رغم ذلك بأنه لا يفكر في الزواج منها، وهذا مما أغضب الوالد والأقارب فطردوه من البيت فخرج بحثا عن عمل يكسب به قوته ويستعيد به حريته المسلوقة، ويهيئ له العودة الكريمة إلى حبيبته بعد أن يكون قد جمع ما يحتاجه من مال.

واستأجر "استيفن" غرفة في بيت حقير وراح يبحث عن عمل يكسب به القوت، وظلت "ماجدولين" تبعث إليه رسائلها مؤكدة له أنها باقية على عهده أبد الدهر، وفي تلك الغرفة الحقيبة الضعيفة ينزل صديقه "إدوار" ضيفا عليه ويقاسمه المأكل والمشرب والفراش، ويحسن "استيفن" معاملة "أدوار" وينقذه من الموت إثر فضيحة أخلاقية، وكان "إدوار" يوشك أن يبلغ سن الرشد حيث لا يعود بحاجة بعدها إلى وصاية عمه ويرث ثروة كبيرة.

وأثناء هذا تحل ماجدولين ضيفة على صديقتها الثرية "سوزان" فتتعارف إلى أسلوب الحياة التي يعيشها الأغنياء وتطلعها صديقتها على ما تملكه من الحلى والجواهر، وتتبادل الصديقتان أحاديث الشجون، فتعرف "ماجدولين" أن صديقتها سوزان تعشق شابا غنيا مثلها وأنها توشك أن تتزوجه، فتظهر لصديقتها بحبها لاستيفن الذي تنتظر عوده إليها بعد أن تكون أحواله قد تحسنت، فتلومها "سوزان" أشد اللوم وتقنعها بأن تتخلى عن أوهامه وتتزوج صديقها "إدوار" الذي كا قد ورث في تلك الأثناء الثروة المنتظرة ويقدر على توفير ما تشتاق إليه من السعادة.

وتمر الأيام وتهبط ثروة على "استيفن" فيذهب إلى إنشاء البيت الذي سيضمه مع حبيبته، إلا أنه حيث يذهب إليها كي يخبرها بالأمر يفاجئها جالسة إلى جانب "إدوار" وعرف أنه قد

خطبها إلى أبيها وأنها بسبيلهما إلى الزواج، كما يفاجأ بأنها قد وضعت في أصبعها خاتما من ألماس مكان الخاتم الذي نسجته من شعره وتعهدت له بأن يظل في إصبعها إلى آخر الأيام.

ويصاب "استيفن" بما يشبه الجنون فيتعطل جسمه ويسوء حاله ويدخل المستشفى ويشرف على الموت، ولا يعود إلى رشده إلا بعد أن تزوره ماجدولين برفقة صديقه "إدوار"، ورأت حال المريض فتقطع قلبها حزنا وتمزق فؤادها ألما وحسرة.

برئ "استيفن" بعض الشيء من مرضه فأخذ البستاني "فرنز" يحادثه حديثا طويلا ليخفف عنه ألم تلك الصدمة العنيفة التي أصاب فؤاده وطلب منه أن ينفق جل وقته لفن ليصبح ذا شأن تندم عنده "ماجدولين" على تركه، فنزلت كلمات الرجل منزلة حسنة من نفس الشاب الحزين وأخذ يبث قيثاره بأحزانه القوية وآلامه العميقة إلى أن أصبح فنانا له شأن، وذاع صيته في الآفاق وكثيرا ما كان هو يرى ماجدولين ولا يكثرث ويخفي آلامه بين أضلعه دون تشعر هي بشيء منها، فحرك أمره كثيرا من التساؤلات في نفسها، وودت لو تعلم حقيقة الأمر منه ولكنها لم تستطع.

مرت الأيام تلو الأخرى وصيت "استيفن" شاع الآفاق شهرة ونجاحا. أما "ماجدولين" فبدأت تشعر بملل زوجها، وتغير حاله معها وكشفت صديقتها "سوزان" بأمرها في رسائلها.

لقد باع ذلك الزوج ذلك القصر الذي كانوا به، ولم يبق لهما شيء من المال، حتى مرض مرضا شديدا، فحضر "استيفن" لمساعدتهما والقيام بشأنهما عدة أيام، ثم اقترح عليهما أن يذهبا معه إلى قريته فاستجاب صديقه لرغبته ورافقتهما "ماجدولين".

وصلت "ماجدولين" إلى منزل "استيفن" فرأت أشجار البنفسج تعلق الدار ورأت كل شيء في تلك الدار كما كانت تتمناه من قبل وما أن رأت ذلك حتى بدأت في نفسها الآلام ولكنها أخفت أمرها، سهر "استيفن" على راحة زوجها وتمريضه حتى قارب الشفاء ثم عادا إلى بينهما. وفي ليلة حالكة السوداء، هرب "إدوار" تاركا زوجته وحيدة ليس لها أنيس ولا شيء من المال لتعيش به باقي حياتها، فاضطرت إلى بيع المنزل الذي تركه لها والدها لتسد به

دين زوجها.

لم تكن "ماجدولين" بدا في حالتها تلك – من العودة إلى موطنها الأول حيث وجدت دارها القديمة التي باعتها، ورأت البستاني وزوجته فطلبت منهما أن يستأجرا لها الغرفة الصغيرة التي كان يسكنها "استيفن" في حياة والدها، فرثيا لها، وأسكنها تلك الغرفة والحسرة تمزق قلوبهما، حتى إذا جاء المخاض وضعت طفلة وسمتها "ماجدولين" وعلم أن "إدوار" قد انتحر، وذات يوم جاءت ماجدولين خافيا إلى منزل "استيفن" مع ابنتها، ووضعها على بابه ثم تركته ومضت إلى سبيلها ورآها البستاني وزوجته، فأخبراه الأمر بعد استيقاظه

سأل "استيفن" عن سبيل المرأة، فعلم أنها اتجهت إلى النهر وأدرك أنها "ماجدولين" حبيبته الضائعة فاتجه مسرعا إلى وجهتها، فإذا بأناس كثيرين يشيرون إلى جثة طافية على سطح الماء وحاول أن يلقي بنفسه لإنقاذها فأشفق الناس عليه وأمسكوا به ولكنه ألق بنفسه وسط الماء وتبعه البستاني ومازالا يرسبان ويطفوان أخرى ويصارعان في هبوطهما وصعودهما جبابرة الأمواج صراعا عنيفا، ثم انفرج الماء عنهما فهما حاملان الغريقة لا يعلمان أحية هي أم فارقت الحياة؟

علم الناس بموتها حينما جلس لديها "استيفن"، وأخذ الجثة بين يديه وصعد إلى الغرفة التي كان قد أعدها لعرسهما وألقى بها على السرير وكشف غطائها ثم قبلها و ما لبث أن سقط مغشيا عليها، وتولى البستاني ودفن الجثة حتى إذا أفاق "استيفن" من غفائه سأل عنها فعلم أنها لحقت بمثواها الأخير فذهب إلى قبرها ووقف فوقه ساعات يضرب بفأسه الأرض حتى خيل إليه أنه جرح رأسها فعاد مسرعا إلى المنزل، واستمر حاله أياما طويلا مختلفا إلى القبر صباحا ومساء غير متذوق طعما للحياة، بعد رحيل "ماجدولين" إلى الآخرة بل تمنى لو يأخذه ملك الموت سريعا إليها.

نسي نفسه في ذكرياتها وذات يوم استمر في غنائه اشتد تأثره والتهبت عواطفه وتلون صوته بصوت الأنين المحزون حتى فنى عن نفسه و عما حوله، واستولت عليه حالة غريبة من الذهول والاستغراب وقد اقشعرت وجهه وتغيرت هيئته ثم وضع كفه على أحشائه متألما فحملوه إلى سريره ودعا البستاني إليه فأوصاه أن يدفنه في قبر "ماجدولين" وأن يحسن

تربية ابنتها يزوجها بمن أرادت ثم أوصى له بكل ما يملكه من المال وغيره هكذا لقي استيفن ربه بعد ما أصابه من عذاب الدنيا.

النزعة الإنسانية في قصة (ماجدولين)

لاشك فيه أن الرواية تزدهم بالنزعة الإنسانية التي أعجبت المنفلوطي واضطرب لها قلبه مثلا موقف "استيفن" من ذلك الغريق الذي حكى عنه سوزان لـ "ماجدولين" في رسالتها فأخبرتها أن رجلا نزل النهر فتخطب في أمواجه ولم يستطع النجاة، ولم يحاول أحد إنقاذه بينما أخذ رجل يدفع الجميع بمنكبيه، وينزلق بين الناس انزلاق السهم بالرمية حتى ألقى بنفسه وسط الماء وسبح ومازال يهبط وراء الغريق ويرتفع حتى انفرج الماء عنها وإذا بهما صاعدان، وقد أمسك الرجل بذراع الغريق ولكنه ظن أن هذا الرجل سيدفعه إلى الماء، فما كان منه إلا أن خبطه خبطة قوية في صدره وغاص أصابعه في عنقه ثم لفه بساقه لفة قوية كادت أن تنكسر عظامه فاستيأس الرجل وظن أنه هالك لا محالة ورفع يديه إلى السماء ناطقا باسم "ماجدولين" وطلب منه الناس أن ينجو بنفسه ولكن أبت عليه شهامته من أن يترك الغريق، فألقى بنفسه في النهر مرة أخرى ومازال يصارع الأمواج وأخرج الغريق من الماء وكان ذلك الرجل الشهم هو بطل هذه الرواية يعني "استيفن"

في الحقيقة هذه الواقعة تدل على الإنسانية والأخلاق العلية بأن الرجل قد واجه المشاكل لإنقاذ الآخر ولا يبالي نفسه حتى أهلك نفسه لغيره.

وهناك موقف آخر هو موقف العفة والمحافظة على الفضيلة في هذه الرواية فقد حاول "استيفن" مرة أن يقبل جبين "ماجدولين" فامتنعت ثم بعث إليها برسالة يعاتبها على ذلك فأجابته بكلمات ملؤها العفاف والشرف، فتقول:

"فوالله ما احتفظت بعرضي إلا لك ولا منعتك نفسي اليوم إلا لأبذلها لك غدا، أنت اليوم حبيبي، وغدا تكون زوجي، وكل ذلك ما أصنعه لكي أن أكون زوجة تقية طاهرة لزوجي."¹

وهناك مكان آخر للإنسانية وهذا الموقف الذي صدر عن "استيفن" بطل الرواية، وهو غريب

¹ المنفلوطي، ماجدولين، ص: 32.

لم يحصل على العمل في القرية التي رحل إليها ولم يكن لديه سوى اليسير من المال ليقوم به حتى يحصل على عمل بما يقيم حياته ويصلح شأنه ولكنه مع حاله أتاه شاب بالي الثياب رث الهيئة هزيل البدن وطلب معونته، فأطرق "استيفن" برأسه حياء منه ، فأخبره الشاب أن زوجته وأولاده سيلقون حتفهم جوعا إذا لم يعد إليهم بطعام يمسك رمقهم فما كان من استيفن إلا أن سأله عن مدى حبه لزوجته وعندما تأكد من ذلك أعطاه كل ما يملك من المال قائلا:

"لقد انقذتها من مخالب الجوع بضعة أيام، وأسأل الله أن يقيض لهما من يتولى شأنهما بعد ذلك"¹

هذه الرواية حافلة بموقفها الإنسانية السامية، فأى موقف هو أعظم من إثارة المرء لغيره في وقت هو أحوج ما يكون فيه إلى هذا المال بل أن "استيفن" يدعو في تلك اللحظة ربه أن يسخر لهما من يتولى أمرهما بينما ينسى أن يدعو لنفسه معهم أن ينصره الله بعمل شريف ينقذه مما فيه، هذا هو الإيثار بعينه الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز والذي أخذ به المنفلوطي فقال تعالى:

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)²

هل هناك إنسانية أكبر من أن يذهب "استيفن" إلى هذا الصديق الذي خانته في حبيبته واختطفها منه، هل هناك إنسانية أعظم من أن يذهب إليه عندما علم بعوده ومرضه؟ فأقام على راحته وتمريضه أياما طويلة ثم اصطحبه مع زوجته إلى داره ليقوم على رعايتهما بنفسه وماله دون منة أو تردد، حاملا من الألم بين ضلوعه وقلبه ولا يظهر لأحد ولا ينتقم من أحد، وبعد وفاة ذلك الصديق قام على رعاية "ماجدولين" وبعد وفاتها تولى رعاية ابنتها "ماجدولين الصغيرة"

وقد فعل ذلك لكي يعطي للإنسانية حقها من الوفاء والشرف والفضيلة وقد أوصى قبل وفاته بكل ما يملك من المال لهذه الطفلة وللبيستاني الذي لازمه أيام شقائه ومحنته.

¹ المنفلوطي، ماجدولين ص:56، مكتبة إحسان لكتاؤ، الهند.

² القرآن، سورة الحشر.

الفضيلة: (بول وفرجيني)

وهي رواية للكاتب الفرنسي (برنادين دي سان بيير) قام بترجمتها أيضا المنفلوطي مع بعض التصرف.

وهي تحكي قصة امرأتين، لكل منهما ظروف قاسية، رمتها إلى جزيرة نائية عن الناس على قريب من جزيرة "مد غشعر" وهي جزيرة فقراء. ليس بها إلا قليل من السكان السود في جبالها وغاباتها، يستعبدهم بضعة أفراد من المهاجري الأوربيين النازلين بينهم ويسخرونهم في حراثة الأرض، والعمل على استخراج معادنها وخيراتها.

وكانت لإحدى هاتين المرأتين طفلة إسمها "فرجيني" وللأخرى طفل إسمه "بول" وللأولى منهما خادم زنجي يقوم بمساعدتها في حراثة أرضها وفلاحتها بينما للأخرى خادمة تقوم بنفس المهمة، وكانت أرضيهما تعود عليهما بأكلهما وقوت يومهما.

أما هذه الأسرة فكانت تسكن في كوخ صغير تظله الأشجار وتحيط بها السعادة والهناء، فعاش الجميع في رغد منقطع النظير ورضي كل منهم بتلك الحياة البسيطة المنعزلة عن الناس بعد أن وجدوا في الاختلاط بهم ألوان العذاب وأصناف المشقة.

وترعرع الطفلان وسط طبيعة خضراء وماء عذب وتحت سماء صافية فشرب كلاهما من كأسها الماء العذب، وامتزجت دماؤهما بسداجة الطبيعة وصفائها، فانطبعت على ملامحهما ابتسامة دائمة لا تكاد تفارقهما حتى في منامهما.

كبر طفلان حتى أصبحا شابين يافعين لا يملأ فراغهما إلا طهارة الحديث في أحضان تلك الطبيعة الفناء ولا يكدر صفوهما مكر، واكتسب كل منهما من تلك الطبيعة ما يلائمه من خصائص وميزات، فكانت "فرجيني" مثال في الأدب والحياء والجمال، وكان "بول" قمة في الشجاعة والإقدام والنشاط.

أما حقيقة علاقتهما، فهو ربط الود والإخاء بينهما رباطا قويا ظاهرا لا يدنس مدنس، وكثيرا ما كان يعاونان على فعل الخير ومساعدة الآخرين، حتى أن جارية زنجية قد استنجدت "بفرجيني" من ظلم سيدها وتقديره عليها، فأطعمتها ثم رافقتها وأما "بول" فتوسط لها عند

ذلك السيد ليحسن معاملتها.

وهكذا رضي الجميع بهذه الحياة قانعين بما وهبته الطبيعة من سعادة الأيام ونشوة الحياة وراحة المال .

ولكن القدر أبى إلا أن يرمي بنبالها تلك الأسرة السعيدة، فبينما هم في غمرة الهناء وظلاله الواسعة، إذا برسالة تصل إلى والدة "فرجيني"، كانت هذه الرسالة من عمته التي تعتبر من أكبر وأعظم العائلات ثراء في "باريس" تطلب منها هذه العممة، أن تبعث "فرجيني" ابنة أخيها إليه لتقوم على خدمتها ورعايتها في آخر سنوات حياتها، على أن تكتب لها جميع ثروتها بعد وفاتها، بينما رفضت هذه العممة مساعدتها والنفقة عليها قبل رحيلها إلى هذه الجزيرة النائية.

واقترنت والدة "فرجيني" بسفر ابنتها إلى باريس ورحبت حياتها المقبلة من ثراء وسعادة، غير أن "فرجيني" رفضت أول الأمر ولم توافق إلا بعد ضغط من الكاهن الذي كان يزورهم من حين وآخر والذي جاء في هذه المرة مبعوثاً من حاكم الجزيرة الذي كان على صلة قوية بعمتها الثرية.

رحلت "فرجيني" سرا في ظلمة ليل حالك حتى لا تخبر "بول" بساعة سفرها، وهناك في باريس، لقيت ما لقيته من ألوان الترف والمتعة ولكنها المتعة الزائفة، ومن ثم كرهت باريس وانقطعت صلتها بأسرتها الطيبة، وقد رغبت عممة "فرجيني" أن تزوجها من أحد الأثرياء في باريس، ولكنها رفضته وأصررت على ذلك حفاظاً على عهدها الوثيق مع حبيبها الأول مما أثار غضب عمته، وغير قلبها ومعاملتها، فلما شعرت المسكينة بذلك لم تجد بدا من العودة إلى أسرتها.

خرج "بول" لاستقبال "فرجيني" بمرافقة رجل عجوز كان صديقاً للأسرة و دائم الزيارة لها- خرجا سوياً للقاء "فرجيني" بعد طول غيابها، وكانت الفرحة تملأ قلب حبيبها لما يتوقعه من لقاء سار وسعادة منتظرة، ولكن القدر أبى ذلك وحدث ما لم يكن في الحسبان، فقد عصفت بالسفينة عاصفة هوجاء ألقت بركابها جميعاً في البحر، فنجوا من نجا وغرق من غرق، وحاول بحار إنقاذ "فرجيني" ولكن حياءها وعفتها منعها من الإمساك به والاستجابة

لأوامره، فكانت من المغرقين، وما هي إلا أيام قلائل حتى لحق بها "بول" ثم مات والدتها فوالدته، وهكذا عاش حبيبان في الوفاء والطهر والعفاف كما عاشت الأسرة بعيدة عن الرذائل والذنوب حتى لقي كل منهم ربه.

النزعة الإنسانية في قصة "الفضيلة"

هذه الرواية حافلة بالموافق الإنسانية الفاضلة، كذلك نجد أبطالها مثالا في الأخلاق والحب وحب أفرادها لبذل المعروف ومساعدة الفقراء والمحتاجين، كما نجد فيهم الوفاء النادر والتعاطف بين الناس، فكلها الإنسانية التي احتوت عليها الرواية:

أن جارية زنجية هربت فارة من قسوة سيدها وتقتيره عليها حتى أصبحت جلدا على عظم وما أن رحلت إلى "فرجيني" حتى قامت أمامها، وكشفت عن جسمها لتريها أثر العذاب ثم أخذت تقول:

"لقد حدثت نفسي كثيرا بالانتحار فما كان يمنعني منه إلا الخوف والجزع، ثم سمعت الناس يتحدثون عنكم حديثا حسنا ويقولون، إنكم وإن كنتم من هذا الجنس الأبيض المخيف ولكنكم قوم محسنون راضون، فأضرع إليك يا سيدتي أن ترحميني وتعودي علي بلقمة أتبلغ بها وأن تحولي بيني وبين الشقاء"¹.

فرقت لها "فرجيني" رقة شديدة ونهضت إلى الطعام الذي أعدته لأسرتها وأعطتها ففرحت الجارية وتهلل وجهها بشرا وسعادة ولم تكف "فرجيني" بذلك، بل بادرت مع "بول" لتتوسط لها بنفسها عند سيدها، مع أن الطريق كان صعب المسالك بعيد المدى وإضافة إلى ذلك أن سيدها شراسة المعاملة وسوء الخلق، ولذا أقول أن "فرجيني" و "بول" كانا مثالا في المروءة وإغاثة المظلوم، فهذا دليل على أن الرواية مملوءة من قيم إنسانية نبيلة.

وهناك موقف شريف آخر صدر عن "فرجيني" وذلك أن "بول" اقترح عليها أن يعود إلى سيد تلك الجارية بعد أن ضلا طريقهما في العودة إلى كوخهما ولم يجدا طعاما ولا ماء يسد جوعهما ويمسك رمقهما، ذلك الموقف هو رفضها العودة إلى ذلك السيد الذي أحست في

¹ المنفلوطي، الفضيلة، ص: 25، مكتبة إحسان لكتاؤ.

عيونه المكر والخبيث وأقنعت "بول" بعدم العودة إليه لأن الله سبحانه وتعالى يتخلى عنها لأنها حافظت على نفسها وصننتها من نظرات ذلك الرجل.¹

ويقول الشيخ الذي روى قصة هذه الأسرة "أستطيع أن أقول لك يا بني أن السعادة ينبوع ينفجر من القرب، لا غيث يمطر من السماء، وأن النفس الكريمة الراضية البريئة من أدارن الرذائل وأفذارها، سعيدة حيثما حلت، ووجدت في القصر وفي الكوخ وفي المدينة وفي القرية وفي الأناج وفي الوحشة في المجمع وفي العزلة، بين القصور والدور، وبين الآلام والصخور فمن أراد السعادة، فلا يسأل عنها المال والنسب وبين الفضة والذهب، والقصور والبساتين، والأرواح والرياحين بل يسأل عنها نفسه التي بين جنبيه فهي ينبوع سعادته وهنائه إن شاء ، ومصدر شقائه وبلائه إن أراد، وما هذه الابتسامة التي تراها تتلألأ في أفواه الفقراء والمساكين والمحزونين والمتألمين لأنهم سعداء في عيشتهم بل لأنفسهم سعداء في أنفسهم، وما هذه الزفرات التي تسمعها تتصاعد من صدور الأغنياء والأثرياء وأصحاب العظمة والجاه ، لأنهم أشقياء في عيشتهم بل لأنهم أشقيا في أنفسهم وما كدر صفاء هذه النفوس، وأزعج سكونها وقرارها وسلبها راحتها وهنائها مثل عاطفة البغض، ولا أنار صفحتها وجلى ظلمتها مثل عاطفة الحب، فأشقى الناس جميعا المبعوضون الذين يضمرون الشر للعالم فيجزئهم العالم شرا بشر أولئك الذين يحبون الناس ويمنحونهم ودّهم وصفاء هم فيمنحهم الناس من بنات قلوبهم مثل ما منحوهم.

وكذلك استطاعت تلك الأسرة الفقيرة المسكينة أن تكون سعيدة هانئة على فقرها وإقلالها وجعجة المصائب بها، فقد كانت تحمل بين جنوبها نفوسا طاهرة شريفة لا تضمر حقدا ولا تعرف غلا، فأحبت القريب والبعيد، والمحسن والمسيء وعطفت على الناس جميعا، من يحسن إليها ومن لا يحسن إليها.²

هكذا يتجلى في الحديث السابق – وقد أخذ المنفلوطي منه لأننا نجد الدعوة إلى المعاني الإنسانية الفاضلة في كل ما كتبه من مقالات في "النظرات" لأنه رجل أحب النفوس النقية

¹ المنفلوطي، الفضيلة، ص: 26.

² المنفلوطي، الفضيلة، ص: 31.

الطاهرة بل أراد للناس جميعا نفوسا طاهرة وأرواحا سامية تتطلع إلى الفضائل كما كانت أفراد الأسرة السابقة، ولعل هذه الأسباب في إعجاب المنفلوطي بهذه الرواية الفرنسية فدفعه ذلك الإعجاب إلى ترجمتها فيقول عن تلك الأسرة:

"إنهم ما كانوا يضعون بأنفسهم أن يقفوا الوقفات الطوال مع من يعترض طريقهم من الناس فيسألهم حاجة من الحاج أو يستعين بهم على كارثة من كوارث الدهر ويدعوهم إلى زيارة مريض أو مساعدة منكوب، ولا يأبون أن يدخلوا الأكواخ القذرة لزيارة المرضى وحواساتهم، وتفقد حالة المنكوبين والبائسين".¹

إن هذه الأسرة كانت نموذجا للمثل الإنسانية التي يدعو إليها المنفلوطي من عطف على المحتاجين ومساعدة الفقراء والمساكين ولذا قام بترجمة هذه الرواية.

وهناك فكرة أخرى تتجلى فيها المحافظة على الشرف والكرامة أعظم جلاء. وهذا الموقف يبدو في نصيحة الأم لابنتها عند رحيلها إلى باريس فتقول:

"إن تجلي الفضيلة الطهارة والشرف والعفة رائدك في كل ماتقولين وماتفعلين، وأن تأخذي نفسك بالأناة والرفق في جميع خطواتك وتصرفاتك اتقاء العثرة والزلة، وأن تجلي نصب عينيك دائما أن الرجل لا يحترم إلا المرأة التي تضن بنفسها عليه ولا يحتقر مثل المرأة التي تبذل نفسها له أي أنه يحب المرأة الفاضلة أكثر مما يحب المرأة الجميلة، بل لا يعرف للمرأة جمالا غير جمال الأدب والعفة وأن زعم في نفسه غير ذلك".²

فلا شك فيه أن هذه نصيحة فاضلة من امرأة أحببت الفضيلة وشجعت عليها بل أنشأت ابنتها على حبها فماتت في سبيلها نقية طاهرة.

وأقدم هنا حديثا آخر صدر أيضا على لسان الشيخ الراوي الذي تتجلى فيه روح المنفلوطي والحب للفضائل والقيم الإنسانية الراقية وكرهه للرديلة بشتى صورها وأشكالها.

يقول الشيخ في حديثه عن حياته في ذلك الكوخ النائي عن المدنية والحضارة المتمرغ في

¹ نفس المصدر، ص: 39.

² نفس المصدر، ص: 52.

بساطة الطبيعة وجمالها بعيدا عن الناس.

"فأحمد الله على نجاتي منهم وخلصني من أيديهم ، وعلى أنني استطعت أن أعيش على حساب نفس لا على حساب الضعفاء والمساكين أو أن أتناول لقمتي مغموسة بدمي لا بدماء الضحايا الهلكى، وأن أعود بما فضل عن حاجتي على البائسين والمساكين والساقطين في هوى اليأس، المنقطعين عن قافلة الحياة ولو أن جميع لذائذ الدنيا مأكلا ومشربا وملبسا ومسكنا، وضعت لي كفة، ثم وضعت لي الكفة الأخرى لذتي في هداية تامة ضل به طريقه ، أو معونة بائس انقطع به أمله لرجحت عليها".¹

فهذا يدل على أن لا يوجد بطل من أبطال الرواية إلا القيم الإنسانية تعمر قلبه بما في تلك القيم من شرف وحياء وكرامة وإغاثة لمهوف أو مواساة حزين.

وهذه كلها قيم إنسانية فاضلة كرس المنفلوطي جهوده للدعوة إليها، وقد بث خلالها آراءه وأفكاره الأخلاقية والاجتماعية والوطنية.

"في سبيل التاج"

و هذه خلاصة رواية تمثيلية بهذا الاسم للكاتب الفرنسي الشهير "فرانسوا كويبية" و ترجمها المنفلوطي مع بعض التصرف.

و خلاصة هذه الرواية أنها تحكي قصة قائد كبير في الجيش البلقاني أراد أن يخون وطنه، ويخلى الحدود من الحرس ليدخل فيها الجيش التركي، على أن يكون ثمن هذه الخيانة للحصول على عرش "البلقان"، و قد عزم على هذا الأمر لزوجته التي طالما حلمت بتاج العرش يتلأأ على رأس زوجها مما دفعه إلى توقيع عهد الخيانة مع الترك سرا.

وفي الليلة الموعودة علم ابنه بالأمر و كان مخلصا وفيا لوطنه فذهب إلى والده ليثنيه عن ذلك بشتى الوسائل، و لكنه لم يستطع.

وعندما شعر الابن بدنو جيش العدو، رفع السيف على والده فقتله و أشعل النار لتنبية الجيش وإشعاره بالخطر فأنقذ بذلك وطنه من خطأ والده، ولكن جعلت زوجة والده تسعى بالوشاية بينه و بين الجيش و ادعت أن له صداقة سرا مع الأعداء، وأنه يتحين الفرصة لخيانة وطنه،

¹ المنفلوطي، الفضيلة، ص: 69.

فرجع الجيش أمره إلى الملك الذي لم يصدق في هذا القائد ما زعموه من الخيانة إلا بدليل قاطع بين يديه، فقدمت له زوجة والده فشهدت أنه قتل بسببه. فثبتت التهمة على البرئ الذي لم يحاول حتى انفاذ نفسه من هذه التهمة رغم كثرة الظروف المتاحة لتبرئته، لأنه يعتقد أن دفاعه عن نفسه يعني أنه قتل والده مرتين، فأثر أن تلتصق التهمة به على أن يعلم الناس أن والده مات مقتولا لأنه نقض عهد الوطن، فجعل سره دفين صدره حتى حكم مجلس القضاء فيه حكمه.

النزعة الإنسانية في قصة "في سبيل التاج":

لا شك فيه أن الرواية ملؤها الإنسانية في كل مكان و البطل "قسطنطين" قد ضحى نفسه للإنسانية فقط، و لبيان هذه المواقف لا بد لنا أن نورد نماذج من الحوار الذي دار بين الإبن و أبيه والذي يمثل قمة الروح الإنسانية في نفس بطل الرواية، تلك المواقف التي هزت المنفلوطي و قدمت إليه الفكرة الإنسانية فدفعته إلى ترجمتها، فتناول السيد مصطفى لطفي المنفلوطي هذه المأساة و نقل موضوعها إلى اللغة العربية في قالب روائي جميل بعد أن أضاف إليها أشياء و حذف منها أخرى. "لا تبغ أمتك يا أبت بعرض تافه من أعراض الحياة، فالتاج الذي يتناوله صاحبه من يد عدوه ليس بتاج الملك، إنما هو قلنسوة الإعدام كيف يهنؤك ذلك العيش و أنت ترى أبناء وطنك أسارى أدلاء في قبضة أعدائهم ليسوقونهم بين أيديهم سوق الجزار ما شيته إلى الذبح، فإن خفق قلبك خفقة الرحمة بهم أو العطف عليهم لا تستطيع أن تمد يدك لمعونتهم و إنقاذهم، لأنك قد بعتهم و رفضت يدك منهم فلا سبيل لك إليهم بعد ذلك".¹

و يقول في مكان آخر :

"أذكر الدموع التي كانت تذرفها الأمهات على أطفالهن المذبوحين فوق حجورهن، و الصيحات التي كانت تصيحها الزوجات والأخوات الواقفات بأبواب السجون على أزواجهن و إخوتهن، و الزفرات التي كان يصعدها اليتامى الثاكلون على حافات القبور إلى آبائهم و أمهاتهم الهالكين".²

¹ المنفلوطي في سبيل التاج، ص: 69.

² نفس المصدر، ص: 70.

كذلك يقول:

"إلى أيتها الفضائل الإنسانية والكلمات العالية من شرف و عزة و ترفع و إباء، و أمانة و إخلاص، تعالين إلى جميعا واجثين معي بين يديه و أضرعن إليه أن ينصفكن، و يعدل في أمركن، و لا يقضى للرديلة عليكن وقلن له: "إنك إن خذلتنا ورفضت يدك منا، فلن نجد لنا من بعدك ناصرا ولا معينا. يا أطفال البلقان وصغارها الناشيءين من فتية وفتيات أقبلاوا إليه جميعا واجتمعوا من حوله وتعلقوا بأهداب ثوبه، واسكبوا ما تستطيعون أن تسكبوا من دموعكم وشؤونكم تحت قدميه، وقولوا له: رحمة بنا أيها الأب الرحيم والسيد الكريم وحنانا علينا، لا تكننا إلى أعدائنا وأعداء وطننا، ولا تجعل مستقبلنا ومستقبل بلدنا في أيديهم يسوموننا الخسف ويزيقوننا ألوان العذاب، فإن أبيت إلا أن تفعل فجرّد سيفك من غمده واقطع به أعناقنا، فذلك خير لنا من هذا العيش المؤلم المرير"¹.

هذه كلمات الابن التي تفيض عزة وكرامة تملأ بمعان إنسانية فاضلة عمرت نفسه فوجهها لوالده الذي عزم الخيانة حتى يرقق قلبه ويهز مشاعره، ويقول في حوار مع أبيه الكلمات الوطنية "تنح عن طريقي أيها المجرم الأثيم، قد فرغ صبري، قال: إنك لا تستطيع أن تمر على جثتي، فارتعد قسطنطين ورفقت عيناه وذهبت به الأفكار مذهبها وقال له أي كلمة هائلة نطقت بها أيها الرجل الشقي أي قضاء قضيت به على نفسك ! تنح عن طريقي فإن نفسي تحدثني بأفضع ما تحدث به نفس صاحبها في هذا العالم، قال: إنك لا تستطيع أن تقتل أباك، قال: أستطيع أن أفعل كل شيء في سبيل وطني، إني وقفت سيفي طول حياتي على خدمتك وحمایتك والذود عنك أيام كنت لوطنك وقومك، أما الآن فإنني أغمد ذلك السيف نفسه في صدرك، طيب النفس مثلوج الفؤاد لأنني أعتقد أنني لا أغمده في صدر أبي بل صدر خائن وطني قال: لاتنس أن لي يدا أقوى من يدك سيفا أمضى من سيفك. وقال: إني لا أجهل ذلك ولكنك تقاتل في سبيل الدناءة والخيانة وأقاتل في سبيل الواجب والشرف : والله مطلع علينا من علياء سمائه وهو الحكم العدل بيننا"².

¹ المنفلوطي: ف سبيل التاج، ص: 72.

² المنفلوطي : في سبيل التاج، ص: 75.

هكذا توجد في هذه الرواية موقف الشرف والمروءة والفضائل الإنسانية تزين صفحاتها من البداية والنهاية ولكن أكتفي بماذكرته من نماذج لكي أقول أن المنفلوطي لا يترجم إلا الروايات التي توجد فيها القيم الإنسانية لأن الرجل داع إلى الفضيلة والمعاني الإنسانية بما تحمله من إخلاص ومروءة ووفاء نادر مع المحافظة على الشرف والكرامة، الرواية حافلة بتلك المواقف السامية التي تدعو إليها المنفلوطي في كل مكان.

العبرات

"الشهداء"

هذه قصة قصيرة ترجمها المنفلوطي ضمن ما ترجمه من القصص في كتابه العبرات . هذه قصة أرملة فقدت أبويها مع فقد زوجها وقد غاب عنها أخوها في بعض أسفاره إلى أمريكا وانقطعت أخباره وآثاره ولم يبق لها الدهر إلا ولدا صغيرا يؤنسها وأخا شقيقا يحنو عليها،

وصباية من المال ولكن هذه الصباية قد انتهت، وأما الأخ فقد هاجر بجميع ما تملك يده هجرة بعيدة لا تعرف مصيره، وبقيت في الدنيا بدون مال ومتاع وقد واجهت هذه المرأة ألوانا من المصائب حتى لم تبق لها الملابس التي تلبس وتسترجسها كاملا . ولكن الله قد أبقى لها ما يعينها على مصائبها ويساعدها في حياتها في العالم ، وهو أنسها بولدها ورجاؤها في عودة أخيها.

مرت الأيام والسنون مسرعا فاكتهلت الأيام وشب الولد وشاركها حزنها ولوعتها، وماكان له من عمل إلا أنه كان يحب فن الرسم فأخذ يمارسه ليحسن في هذا المجال، فاجتهد في مهنته ما يسد حاجته وحاجتها فقنعت الأم بذلك ورأت في وجوده أنسها وسعادتها إلى جوارها، غير أن الشيطان يأبى إلا أن يكدر ذلك الصفاء فيذكرها بأخيها الغائب فلا تلبث أن تذرف على فراقه عبرات سخية تحاول أن تخفيها عن ابنها قدر استطاعتها، ولكنه اكتشف يوما هذا السر الدفين في صدرها فعاهدها على أن يفتش عن خاله أثناء رحلته، إلى "واشنطن" ليعرض لوحاته في المعرض الذي سيقام بها، والذي خصت له جوائز عظيمة قد ينال واحدة منها فتساعدها على عيشها وتزيل شقاءها. أشفقت الأم المسكينة على نفسها وعلى نفسه من هذه الرحلة لخوفها أن تفقدها كما فقدت أباها من قبل.

هكذا رحل الشاب إلى "واشنطن" وعرض لوحاته ففازت إحداها ، وهي التي عبر فيها عن لحظة فراقه لوالدته وساعة وداعه إياها، وفرح بهذا الفوز حتى نسي شقاه وأرسل إلى أمه بعض المال واستبقى لنفسه الباقي ليبر بوعده معها ويفتش عن خاله، ثم كتب إليها أنه يبرح هذه الأرض حتى يفي بما عاهد عليه قبل سفره ثم أخذ يضرب الآفاق بحثا عن ذلك الخال المفقود حتى أخبره بعض من سألهم أنه رحل إلى بعض الجزر الجنوبية، فشق الشاب طريقه إليها حتى أوقفته ظروفه السيئة في جزيرة موحشة مقفرة تسكنها قبيلة من الزنج المتوحشين الذين ما أن رأوه حتى هاجت في صدورهم أحقاد تلك العداوة اللونية ، فأخذوه أسيرا ثم وضعوه في نفق تحت الأرض سموه سجن الانتقام.

وفي هذا السجن فقد الشاب كل ما في نفسه من الآمال وعلم أنه مفارق هذه الحياة بين لحظة وأخرى، ومما زاد في ألمه وحزنه أن شخصا آخر في "فرنسا" أضعف منه قوة وأكثر منه حسبا يشاركه في هذه الآلام على غير علم بها.

مرت على الشاب أيام وأعوام وهو على هذه الحال، وما زال في سجنه حتى أخذ بيده ذات يوم رجل أسود ثم ساقه إلى صخرة كبيرة في أرض قفر وربطه في جزع شجرة ثم تركه وحيدا وذهب إلى حاله.

هنا التقت الشاب حوله فعاد إليه عقله وعلم أنه في مكان غير مكانه الأول وأرضا غير الأرض، وتذكر أمه وشقاءها من بعده فذرف عبرة كادت تحترق وجنتاه، ثم أسلم رأسه إلى ركبتيه وذهب بخياله إلى حيث شاء أن يذهب حتى أخذت جفنيه سنة من النوم وبينما هو كذلك إذ شعر بيد تلمس كتفيه فرفع رأسه فيخيل إليه أن ملكا نوارنيا نزل إليه من السماء لينقذه من شقائه، فيظهر أنه فتاة جميلة بيضاء لم يرى قبل ذلك على مثلها حسنا وبهاء¹. فأخبرته أنها إحدى فتيات الحي وأنها علمت بحاله فأنت لتخلصه من محنته لأنه محكوم عليه بالإعدام في صبيحة اليوم التالي، ولكن الشاب الذي تعلق بها خفق قلبه بحبها ورفض الفرار إذا لم ترافقه في رحلته لأنه لا يستطيع أن يعيش حياته الباقية بدونها، ومن ثم فالموت أهون عليه من حياة ملؤها العذاب.

فرحلا معا في ظلمة ليل حالك يقطعان الفلوات والقفار حتى وصلا بعد مسيرة ثلاثين يوما إلى منطقة عامرة بأهلها وسكانها، فاستبشرا وعلما أنهما على قريب من ساعات هوائهما. وطلب منها الزواج حتى لا يحول بينهما بعد ذلك حائل، فأصيبت برعشة قوية لم تستطع أثنائها الإجابة على طلبه حتى هدأ حالها ولم يجد بدا من مكاشفته بسرها، إن أخبرته أنها فتاة غريبة عن هذه الديار وأن والدها كان رجلا أبيض يدعى "رفائيل" ثم تعلق بأمرها وتزوجها، فدانت بدينه ثم أنجباها وعاشا عيشة راضية حتى هجم عليهم رجال قبيلتهم فاقتادوهم جميعا غضبا ثم قتلوا والدها على مشهد وكانت إذ ذاك لم تتجاوز العاشرة من عمرها فمرضت أمها المسكينة على إثر ذلك.

وكان يحضرها ساعة احتضارها رجل مسيحي من رجال الدين فطلبت من ابنتها أن تنذر نفسها للعداء حتى لا تتزوج ويصيبها من الشقاء ما أصاب والدتها فأذعنت لأمرها وأشهدت الرجل على ذلك.

¹ المنفوطي، العبرات، ص: 29

وهكذا قصت الشابة عليه قصتها لتكون عذرا لها في امتناعها عن الزواج منه ومن هذه القصة علم الفتى أنها ابنة خاله الذي فقدوه من سنوات عديدة ، خافت الفتاة على دينها من أن يغلب الحب وتزوج الشاب فتناولت جرعة من زجاجة ملئت بالسم، فشربت منها وغابت عن الوجود.

حزن عليها الشاب حزنا شديدا وثار على رجال الدين المسيحين وعلى تعاليمهم التي وضعوها وفقا لأهوائهم فحرموا ماكرهوا وأحلوا ما أحبوا، فظل على ثورته حتى ثقل لسانه ووهنت عزيمته وارتعدت مفاصله وسقط على الأرض.

اقترب منه شيخ مسيحي أخذ يخفف عنه ما أصابه من الآلام، فطلب الشاب منه أن يقبل الفتاة قبلة الوداع ثم لقي ربه في هذه الساعة، فكان مدفنها في مكان واحد تحت شجرة مورقة على شاطئ النهر.

مرت بوالده امرأة من جاراتها فوجدتها قد فارقت حياتها إلى بارئها وهكذا كان هؤلاء الثلاثة ضحية الحزن واليأس.

النزعة الإنسانية في قصة "الشهداء"

هذه القصة التي ترجمها المنفلوطي قصة حزينة مؤلفة تحكي آلام أرملة ذاقت ألوان العذاب والبؤس، وقصة شاب التتكيل والشقاء وشابة فقيرة نذرت نفسها للعذراء لكثرة مالاقتنه من يأس وألم في حياتها مما جعلها في صراع عنيف بين نذرها هذا وبين حبها الذي يعتلج في صدرها فلم تجد بدا من الانتحار فرارا من واقعها الأليم.

ونعود هنا إلى الأم في "فرنسا" ، تلك الأم التي ظلت تنتظر ابنها وحيدها يقتلها اليأس ويرحمها الرجاء ومرت الأيام والأعوام لا يفارقها الأمل ساعة، حتى جاء اليوم الذي استسلمت فيه ليأسها وأيقنت بموته وبين الزفرات والعبرات أنشأت تقول "في أي بطن الأرض مضجعتك يا بني وتحت أي نجوم السماء مصرعك وفي أي قاع من قيعان البحر مثواك، وفي أي جوف من أجواف الوحوش الضارية مأواك؟

لو يعلم الطير الذي مزق جثتك، أو الوحش الذي ولغ دمك أو القبر الذي ضمك إلى أحشائه ، أو البحر الذي طواك في جوفه أن ورائك أما مسكينة تبكي عليك من بعدك لرحموك من أجلي.

عد إلي يا بني فقيرا أو مقعدا أو كفيفا فحسبي منك أن أراك بجانبني في الساعة التي أفارق فيها هذه الحياة لأقبلك قبلة الوداع إليك بزيارة مضجعي مطلع كل شمس ومغربها لتخف بزورتك عني ضمة القبر وتستنير بوجهك الوضاء ظلماته الحالة.

ما أسعد الأمهات اللواتي يسبقن أولادهن إلى القبور ، وما أشقى الأمهات اللواتي يسبقهن أولادهن إليها، وأشقى منهن تلك الأم المسكينة التي تدب إلى الموت ديبيا وهي تعلم هل تركت ولدها وراءها أو أنها ستجدها أمامها¹؟

هذا حديث الأم التي لا تعلم عن ابنها شيئا بعد رحيله ، هذا الحديث مؤثر من غير شك وهنا المنفلوطي يهدف إلى تحريك المشاعر الإنسانية تحركا صادقا لإغاثة المنكوبين والبائسين ومحاولة تخفيف آلامهم جراحهم بما يعينهم على مصائب الدهر وأرزائه.

وكذلك من النزعة الإنسانية في هذه القصة، مبادرة الفتاة الشابة لإغاثة الفتى المقيد إلى جوار الصخرة وأخبرته عن قتله صبيحة اليوم التالي فهنا تقول له "أنا فتاة من فتيات هذا الحي وقد ألممت بشيء من أمرك فعلمت أنك شقي فرحمتك مما أنت فيه فجننتك أطلق وثاقتك لتذهب حيث تشاء، فلا مثوبة يقدمها المرء بين يدي ربه يوم جزائك أفضل من مواساة البائس وتفريج كربة المكروب"².

ولعل من أجمل هذه المواقف موقف الفتاة نفسها حينما رحلت معه لأنه كاشف حبه لها وأنه لن يستطيع العيش بدونها ، وأن الموت أهون عليه من فراقها .

وهنا حديث آخر قاله الشاب نفسه يدل هذا الحديث على الاعتراف الحقيقي بالمشاعر والعواطف الإنسانية المسيطرة على حياة الإنسان فيقول الشاب مخاطبا لرجال الدين الذين يحرمون ماشاءوا من الأمور ويحطلون ما أحبوا :

"إن كنتم تريدون أن نعيش على وجه الأرض بلا حب فانتزعوا من بين جنوبنا هذه القلوب الخفاقة ثم اطلبوا منا بعد ذلك ما تشاؤون ، فإننا لا نستطيع أن نعيش بلا حب مادامت لنا أفئدة خافقة"³.

¹ المنفلوطي، العبرات، ص: 32، مكتبة إحسان لكتاؤ.

² العبرات، المنفلوطي، ص: 33، مكتبة أحسان لكتاؤ.

³ العبرات، المنفلوطي، ص: 41، مكتبة إحسان ، لكتاؤ.

نعم إن الحب عاطفة إنسانية سامية لا يمكن أن يتنكر لها إنسان تنبض فيه الروح الإنسانية. وإنه أثر في نفس المنفلوطي في هذه القصة ما قاله بطل القصة لرجال الدين المسيحيين الذين يستغلون مواقفهم لإفساد عقول الناس، "إننا لا نعرفكم أيها القوم وندينكم بكم ولا نعترف لكم بسطان على أجسامنا وأرواحنا، ولا نريد أن نرى وجوهكم أو نسمع أصواتكم ، فتواروا عنا إهبوا وحدكم إلى معابدكم ومغاوركم، فإننا لا نستطيع أن نتبعكم إليها ولا أن نعيش معكم فيها. إن وراءنا نساء ضعاف القلوب ورجالا ضعاف العقول ونحن نخاف عليهم أن يمتد شركم إليهم ، فلا بد لنا أن نقف في وجوهكم ونعترض سبيلكم لنذودكم عنهم حتى لا تصلوا إليهم فتفسدوا عليهم البقية الباقية من قلوبكم وعقولكم"¹.

وهذا القول يدل على مشكلة اجتماعية سائدة في الوسط المسيحي من فساد العقل والدين. هنا حديث آخر على لسان الشاب وبطل هذه القصة وأخذ المنفلوطي من الشريعة الإسلامية "إننا لا نعبد إلا الله وحده ، ولا نشرك به غيره، وفي استطاعتنا أن نعرف الطريق إليه وحدنا بدون دليل يدلنا عليه، فلا حاجة لنا بكم ولا بوساطتكم.

كتاب الكون يغنيننا عن كتابكم، وآية الله تغنيننا عن آياتكم، وأناشيد الطبيعة ونغماتها تغنيننا عن أناشيدكم ونغماتكم، هذا الجمال المترقرق في سماء الكون وأرضه، وناطقه وصامته ومتحركه وساكنه، إنما هو مرآة نقية صافية ننظر فيها فنرى وجه الله الكريم مشرقاً متلألاً فنخر بين يديه ساجدين، ثم نصغي إليه لنستمع وحيه فنسمعه يقول لنا: "أيها الناس إنما خلق الجمال متعة لكم فتمتعوا به، وإنما خلقتكم حياة للجمال فأحيوه". ذلك أمر الله نسمعه ولا نسمع أمراً سواه"².

كما قال تعالى: "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار"³.
"اليتيم"

¹ العبرات، المنفلوطي، ص: 42، مكتبة إحسان ، لكتاؤ

² المنفلوطي، العبرات، ص: 42.

³ سورة آل عمران، آية رقم: 190

قصة صغيرة من تأليف المنفلوطي من كتابه "العبرات" وهي تحكي قصة شاب فقد أبويه وهو السادسة من عمره ، وقد كان فقيرا معدما لأنهما لم يتركا له إرثا يعيش منه فكفله عمه فنشأ في بيت مع ابنة عمه وهي كانت في عمره وكانا لا يريان إلا في رفقة بعضهما إما ذاهبين إلى المدرسة أو عائدين منها، وإما لاعبين في فناء المنزل أو لاهيين في الحديقة أو مجتمعين في غرفة المذاكرة أو متحدثين في غرفة نومها، حتى حان وقت حجابها، ولقد عقد الود بين قلبه وقلبها عقدا لا يحله إلا ريب المنون، وكانت الفتاة مثالا في الذكاء والحلم والرحمة والحنان بينما كان الفتى مثالا في الشجاعة والكرم والوفاء.

وقد استمر الحبيبان على حياتهما حتى أراد الله بهما ما أراد قبض العم ولم يترك شيئا لهذا الغلام يستطيع به أن يعيش عيشة راضية، فلم ينس ساعة احتضاره أن يوصي زوجته التي كان يظن بها خيرا عن الاهتمام به والقيام بشأنه فوعده بذلك.

وبعد أيام أرسلت هذه الزوجة الخادمة للشباب في غرفته تخبره أن يترك هذا المكان لأن خطيبها المنتظر يقع في الريب بوجوده، ووعده أن تقوم بإمداده من المال كلما احتاج إلى ذلك لأنها تريد أن يكون هذا الجناح الخاص في المنزل لابنتها وزوجها.

تظاهر الشاب بقبول ذلك الخبر وتحامل على نفسه حتى تركت الخادمة غرفته ثم أخذ يسكب من عبراته ماشاء الله له أن يسكبه، ثم جمع ملابسه وكتبه وأودعها حقيبته وخرج في ظلال الليل حيث لا يعلم به وألقى نظرة أخيرة على ابنة عمه من وراء ستارها وهي تستريح في سبات عميق.

خرج المسكين حائرا، شريدا طريدا قد اصطلحت عليه الهوم والأحزان، فراق لا لقاء بعده، ففر لا ساد لخلته وغربة لا يوجد عليها أحد من الناس مواسيا، ومعينا.¹

أما مسكنه ومأكله، فقد كان لديه صباية من المال، ففتش عن المأوى له، فوجد غرفة في مجاور المنزل لـ"المنفلوطي" وكانت هذه الغرفة أشبه بالقبور في ظلمتها ووحشتها.

¹ المنفلوطي، العبرات ، ص: 19 مكتبة أحسان، لكتاؤ.

فسكنها وحيدا مكلوما وكان "المنفلوطي" يلاحظ وحدته ويشعر بغربته، وود لو يكون له صديقا أو حميما فيكشف له حقيقة أمره، ولكنه لم يفعل مخافة أن يوقعه في حرج لا يحبه.

وهذا الشاب المسكين صار مشرفا على الهلاك بنفد ما عنده من المال، وذات يوم قدمت عليه الخادمة العاملة في منزل عمه وأخبرت أنها كانت تبحث عنه منذ ثلاثة أيام، ودفعت إليه الرسائل التي كانت تخفيها في جيبها.

وبعد قراءة الرسائل، علم الشاب أن ابنة عمه في اللحظات الأخيرة من حياتها، وأنها ما بعثت إليه هذه الرسالة إلا لترجوه الحضور إليها حتى تودعه الوداع الأخير، فما قرأ الشاب آخر كلمة في الرسالة حتى اندفع إلى الباب بسرعة، فقالت الخامة أن قضاء الله كان أسرع منه إليها فدارت به الأرض لذهوله، وبدأ يبكي بكاء شديدا، سمعه المنفلوطي فسرعان ما اتجه إليه فوجده في حالة الحمى والذهيان، ثم سأله المنفلوطي عن أمره فأخذ يقص عليه ماساته، ثم طلب منه في آخر حديثه أن ينفذ له وصيته التي أوصاه بها وهي أن يدفنه مع ابنة عمه ويضع معه رسالتها الأخيرة.

لقد عطف على هذا البائس المسكين فإنه استطاع إمضاء وصيته كما أراد فسعى في دفنه مع ابنة عمه ودفن معه تلك الرسالة التي دعت فيه أن يوافيها فعجز عن أن يلبي نداءها حيا فلأبها ميتا.

"وهكذا اجتمع تحت سقف واحد ذاك الصديقان الوفيان اللذان ضاق بهما حياتهما فضاء القصر ، فوسعتها بعد ندائها حفرة القبر".¹

النزعة الإنسانية في قصة "اليتيم"

القصة قصة حزينة مؤثرة، وبطلها يتيم الأبوين الذي حرم من حنان الأمومة وعطف الأبوة منذ نعومة أظفاره، ثم حرم وهوشاب من شريكة طفولته وبسمة شابه، فعاش وحيدا ليس له

¹ المنفلوطي، العبرات، ص: 24 مكتبه احسان لكتاؤ الهند.

من يواسيه ، ويخفف آلامه معدما من المال ثم فارق حياته بعد أن فقدته شريكة الطفولة وبسمة الحياة.

هذا هوبطل قصة المنفلوطي الذي يستحق الشفقة والعطف فلا يجد مواسيا له في لحظاته الأخيرة إلا كاتب هذه القصة ذا القلب الرحيم الذي لا تجذبه إلا مواطن البؤس والشقاء ولا يريحه إلا أن يصور مآسيها أحسن تصوير منها الذي يصور لنا الحالة الحقيقية كما يقول:

"فأحزنتني أن أرى في ظلمة ذلك الليل وسكون هذا الفتى البائس المسكين منفردا بنفسه في غرفة عادية باردة لا يتقي فيها عادية البرد بد ثار ولانار ويشكو هما من هموم الحياة أو رزء من أرزائها قبل أن يبلغ من الهموم والآلام من حيث لا يجد بجانبه مواسيا ولا معيناً، وقلت لا بد أن يكون وراء هذا المنظر الضارع الشاحب نفساً قريحة معذبة تذوب بين أضلاعه ذوباً، فيهافت لها جسمه تهافت الخباء المقوض".¹

ولا يكتفي المنفلوطي بهذا التصوير الذي يهز المشاعر الإنسانية ويحركها بالشفقة على أمثال هؤلاء البائسين، بل يقف ليستطلع أمر هذا المسكين فيراه في كل ليلة إما باكياً أو مطرقاً أو ضارباً برأسه على صدره أو منطوياً على نفسه في فراشه يئن أنين التكلى أو هائماً في غرفته يذرع أرضها ويمسح جدرانها حتى إذا نال منه الجهد سقط على كرسيه باكياً منتحباً.² وتمنى هذا الأديب لو يداخله مثل الصديق الذي يناجيه ويشاركه في همه ، ويشفق عليه ويريد أن يعانیه في المصائب التي يواجهها فيقول المنفلوطي حينما يدخل في غرفته:

“أنا جارك القاطن هذه المنزل، وقد سمعتك الساعة تعالج نفسك علاجا شديدا وعلمت أنك وحدك في هذه الغرفة فعناني أمرك فجتتك على أن أستطيع أن أكون لك عوناً على شانك، فهل أنت مريض؟”³

¹ المنفلوطي ، العبرات، ص:13.

² المنفلوطي، العبرات، ص:13.

³ المنفلوطي، العبرات، ص: 13.

ويستمر المنفلوطي في ملاطفته والعطف عليه ثم أحضر له الطبيب ، ثم اضطر إلى البيت عنده في تلك اللية لتطبيبه والعمل على راحته حتى أفاق غفلته فيقول له:

"أرجو ان تكون أحسن حالا من الآن!

فهل تأذن لي يا سيدي أن أسألك من أنت؟ وما مقامك وحدك في هذا المكان وهل أنت غريب في هذا البلد أو أنت من أهليه وهل تشكو داءا ظاهرا أوهما باطنا".¹ ويقول أيضا

"فهل لك أن تحدثني بشأنك وتفضي إلى همك كما يفضي الصديق إلى صديقه فقد أصبحت معنيا بأمرك عنايتك بنفسك".²

ثم ينصت هذا الأديب الشفيق إلى شكوى المحزون حتى علم حقيقة كلها، ولم يكتف بهذا بل حاول لإنفاذ وصيته التي أوصاه بها ، وإذ بحث عن قبر ابنة عمه ودفنه معها و وجد في تنفيذ هذه الوصية خير مؤاساة له، بعد ما ناله من تلك المأساة الحزينة.

هذه هي قصة اليتيم الحزينة وهي تملأ من النزعات الإنسانية، فعسى أن تكون نموذجا صادقا لدفع القلوب الرحيمة إلى العطف على أمثال هؤلاء البائسين كما فعل أديبنا الشهير المنفلوطي.

"الجزء"

هي قصة قصيرة ترجمها المنفلوطي وهي تحكي قصة فتاة قروية تدعى "سوزان" قد نشأت مع ابن عمها "جلبرت" في بيت واحد كما تنشأ الزهرتان المتعانقتان في مغرس واحد، لعبت طفلة وأحبته شابة ومرت بهما في جميع إدوار حياتها التي كانا فيها سويا سعادة ولم يكونا

¹ المصدر السابق، ص: 14.

² المصدر السابق، ص: 15.

غنيا ولم يشتاقا إلى القصور والمركبات بل إنهما اكتسبا السعادة من سحر الطبيعة وجها لها، فهما ما يزالان ينتقلان بين هنا وهناك، ولا يكدر عليهما صفوهما مكدرا، حتى كان اليوم البحيرة الذي التفت فيه "سوزان" بالمركز "جوستاف روستان" فأعجب بها ومازالا يلتقيان في كل يوم حتى راودها عن نفسها بكلمات قلما كانت تسمعها من خطيبها القروي الساذج، وتسرب حبه إلى قلبها، وقد نسيت حبه الأول وتابعت حبيبها الجديد إلى قصره الفخم تاركة ابن عمها في حيرة ولوعة وألم حتى نعمت "سوزان" بقصرها الفخم وحياتها الجديدة، وانجبت طفلة دعته "ماري" وفي نفس الوقت كان "المركز" الذي تزوجها قد سافر وتركها في القصر وحيدة، تنتظر عوده في كل ليلة مناجية كل مساء، سائلة النجوم عنه وتخاطب القمر باسمه حتى يغلبها النوم وهي على تلك الحالة من الحيرة والحرمان.

وفي إحدى الليالي رأته في حلم سعيد وهو مقبل عليها مسرورا فرحا ويضم إياها وابنته بيديه. وعندما طلع الصباح أيقضته الخادمة من نومها تحمل إليها بشرى وصول سيدها المركز فاستطار "سوزان" فرحا وعلمت أن حلمها قد تحقق ولكن الكارثة تآبى إلى أن تحل بالسعداء لقد نزلت "سوزان" تستقبله بنفسها، فرأت رجلا غير الرجل ووجها غير الوجه الذي أحبته وعهدته، لأنها رأى منه سوء المعاملة، فأنكر عليها لبقائها إلى ذلك الوقت في قصره وتكرر لابنه وأخبرها بقدم زوجته الأخرى إلى القصر ولا يجب أنه يكدر عليها بوجود الأولى، ثم أشار إلى كيس ما كان أعد لها لتستعين به على حاجتها، فعلمت أنه ثمن عرضها فتركته وحملت ابنتها وملابسها القروية التي كثيرا ما أخفيت وخجلت من لبسها في قصره، ثم خرجت من القصر لا تعلم أين تذهب أو ماذا تفعل بنفسها وبابنتها المسكينة؟

سارت "سوزان" هائمة على وجهها حائرة بين الأحرار والغابات، فنامت ابنتها فوضعتها على صخر من الصخور، فخلعت بعض ملابسها لتقي بها ابنتها شرالبرد وبينما هي كذلك سمعت أنينا على قريب منها فاتجهت إلى جهة الصوت، فإذا بشاب مسكين لم تبق منه الأيام إلا هيكل يوشك أن يتحطم هو الآخر، وكان هذا الشاب يهتف في مرضه باسم "سوزان" فإذا هو ابن عمها "جلبرت" وأقبلت "سوزان" على ابن عمها تخاطبه ولكنه ألقى عليها نظرة طويلة كانت كنظرة أخيرة، حزنتم المسكينة حزنا شديدا وبكيت من أجله بكاء مرا، تذكرت

خلاله، أنها تركت ابنتها نائمة بين الصخور في مكان آخر فأسرعت إليها وأضمرت في نفسها أمرا لم تجد حلاله، لأنها خافت أن تظل عارا لا يمحي أثره من حياة ابنتها.

لم تجد سوزان بدا من ترك ابنتها إلى الأبد أملة أن تجد هذه الابنة من يتولى أمرها ويحنو عليها، فودعتها الوداع الأخير ثم ألقت بنفسها في النهر.

كان "المركيز" في تلك اللحظة يطل من شرفة قصره، فوجد طفلة وحيدة على شاطئ النهر، فأخبر المركيز بأمره وكان خائفا أن تكون هذه الطفلة ابنته والغريقة أمها، وكان كذلك فحاول إنقاذ الأم ولكنه لم يستطع، فأمر بإعادة الطفلة إلى قصره وهذه الطفلة كانت مثل "سوزان" في الصورة ولم تبق إلا ثلاثة أيام حتى لحقت بأماها.

وقد استحال حب زوجته الجديدة له إلى كره واحتقار ثم هجرته وسافرت إلى "نيس"

ظل "المركيز" على حاله تلك حتى وجدت جثته طافية على صفحة النهر الذي غرقت فيه "سوزان" قبله، فكانت نهايته نهاية الجراء، وظلت هذه الحكاية يتداولها عجائز تلك القرية لتكون عبرة لكل فتاة عندما يطوف بها طائف من أشرار الرجال.

النزعة الإنسانية في قصة "الجراء"

من الملاحظ أن القصة على قصرها تحمل العبرة والعظة لكل فتاة تخادع نفسها بالزلل، وهذه القصة تدل على الصراط المستقيم وهذا من غير شك موقف إنساني نبيل قد بينه المنفلوطي بأسلوب غير مباشر لأنه يريد بترجمة القصة أن تكون الفتاة عفيفة نقية طاهرة بعيدة عن المآثم والشبهات وهذا يدل على الإنسانية والأخلاق النبيلة والقصة كلها حكاية بؤس وشقاء وألم يبرح أبطالها ولايفارقها سواء كان ذلك الألم يكابده "جلبرت" الشاب القروي الفقير الذي تركته ابنة عمه وتناست حبه أو كانت صاحبة الألم ابنة عمه "سوزان" الذي تركها "المركيز" وتناسى حبها وتنكر لابنته معها فكانت نهايته سيئة.

وكذلك اشتملت القصة على موقف إنساني فاضل بذلته الأم من أجل وحيدتها وهو قتلها لنفسها حتى لا تعيش عارا على ابنها وسببا في تعاستها في مستقبل حياتها كما تقول مخاطبة

ابنتها: "لا أحب أن تكون حياتي يابنيتي شؤماً على حياتك ولا يأخذك الناس بذنبي كما رأوك بجانب، فأنا أتركك وحدك في هذا المكان لعل راحماً من الناس يمر بك فيعطف عليك وضمك إليه من حيث لا يعلم شيئاً من أمرك فتعيش في بيته سعيدة هائلة لا تعرفين أباك فيخجلك. ولا أمك فتولمك ذكراها، اللهم إن كنت تعلم أن هذه الطفلة ضعيفة عاجزة تحتاج إلى من يرحمها ويكفل أمرها، وأنني قد أصبحت عاجزة عن البقاء بجانب أرحامها وأحنو عليها، وأنا بريئة طاهرة لا يدلها في الذي أنبه أبوها، فارحمها واسبل عليها ستر معروفك وإحسانك وهياً لها صدراً حنوناً، ومهداً لينا وعيشاً رغيذاً"¹.

الفصل الثالث

مظاهر النزعة الإنسانية في مقالاته

"مدينة السعادة"

ملخص هذا المقال، أن المنفلوطي رأي في منامه مدينة جميلة يتجول في أرجائها ونواحيها الشاسعة والحافلة بحدائقها، تغمرها السعادة ويحفها الهناء لتفاهم أهلها وقناعتهم وصفاء نفوسهم ووفاء وعودهم. ليس فيها غني مستذل للفقير ولا فقير حاسد لغني ولا كبير يحقر صغيراً ولا صغير شاتم لكبير. فجميع السكان فيها سواء في منازلهم ومسكنهم وورغد عيشهم.

¹ المنفلوطي، العبرات، 102، مكتبة احسان لکناؤ، الهند.

فإن هذا المقال اجتماعي وإن المنفلوطي عبر عن رغبته في وجود مثل هذه المدينة عن طريق الرؤيا التي رآها، وهذا أكبر دليل على ما تمناه المنفلوطي للمجتمع من المثل الإنسانية العليا والمساواة بين الناس، فيقول:

" وأغبر ما استهوى نظري أنني لم أرى في تلك المدينة ذلك التفاوت الذي أعرفه في مدائننا بين الناس في منازلهم ومراكزهم ومطاعمهم ومشاربهم وهيئاتهم وأزيائهم وكأن جميع سكانها سواسية في حالة المعيشة ودرجة الثروة."¹

ويقول أيضا:

" تلك هي مدينة السعادة التي يعيش أهلها سعداء، لا يشكون لأنهم قانعون، ولا يمسون على أنفسهم حقدا لأنهم مساوون، ولا يستشعرون خوفا لأنهم آمنون."²

قد ظهرت بالدليل الواضح أمنية المنفلوطي الدفينة صدره عن إصلاح المجتمع وهذا يدل على العاطفة النبيلة في أدبه.

"قتيلة الجوع"

نشرت بعض الصحف خبر امرأة ماتت في جبل المقطم فظنوها قتيلا أو منتحرة حتى حضر الطبيب، ففحص أمرها وأخبر أنها ماتت جوعا.

فإن المنفلوطي قد كتب هذا المقال حين قرأه هذا الخبر. وإن المقال يبدو لنا شديد اللهجة عالي الصوت لأن الكاتب يستنكر فيه أن يموت إنسان وسط بيت جنسه لعدم حصوله على لقمة عيش تسد بها جوعه، فيقول:

" لم تمت هذه المسكينة في مفازة منقطعة أو بيداء مجهل؛ فنفرغ في أمرها إلى قضاء الله وقدره كما نفع في جميع حوادث الكون التي لا حول لنا فيها ولا حيلة بل ماتت بين سمع الناس وبصرهم وفي ملتقى غاديتهم برائحهم، ولا بد أنها مرت قبل موتها بكثير من المنازل

¹ المنفلوطي، النظرات، العنوان مدينة السعادة، الجلد الثالث، ص: 12.

² المصدر السابق، ص: 14.

تطرقها فلم تسمع مجيبا، ووقفت في طريق كثير من الناس تسألهم المعونة على أمرها فلم تجد من يمد إليها يده بلقمة واحدة تسد بها جوعتها، فما أقسى قلب الإنسان وما أبعد الرحمة من فؤاده وما أقدره على الوقوف موقف الثبات والصبر أمام مشاهد البؤس ومواقف الشقا¹.
ثم يقول المنفلوطي في استنكاره هذا لماذا حدث لهذه المرأة المسكينة، فيرى أنها لم تلجأ إلى جبل المقطم في ساعاتها الأخيرة إلا لأنها ظنت أن الصخر ألين قلبا من الناس الذين قصدتهم فلم يستجيبوا لطلبها.

ويبدو انفعال المنفلوطي الشديد في هذا المقال وتأثره الواضح بالحادثة في كثرة الاستفهام التعجبي التي استخدمها في المقال. فيقول:

" ألم يلتق بها أحد في طريقها؟.....

ألم يكن لها جار يسمع أنينها في جوف الليل؟.....

أفقرت البلاد من الخبز والقوت؟....."²

ثم يرجع المنفلوطي هذه القسوة إلى سبب واحد وهو أن المجتمع أصبح لا ينفق إلا إذا أعلن عن هذا الإنفاق والمساهمة ففي هذا المقال سلط المنفلوطي الضوء على فساد المجتمع وقسوة قلبه للضعفاء والمساكين والمنكوبين الذين ليس لديهم قوت يسد الجوع. لأن الأمة المصرية أرادت أن لا تبذل معروفها إلا في مواقف المفاخرة والمكاثرة، والتي لا تفهم من معنى الإحسان إلا أنه الغل الثقيل الذي يوضع في رقاب الفقراء لاستعبادهم واسترقاقهم.

أما الصدقة في السر والخفا فأصبحت أمرا غريبا، وبذل المال من أجل المحافظة على الإنسانية والشرف أمرا مستبعدا، يقول:

" لقد كان الإحسان في مصر كثيرا في عصر الاكتتابات والحفلات، وفي العهد الذي كانت تسجل فيه حسنات المحسنين على صفحات الجرائد تسجيلا يشهده ثلاثة عشر مليوناً من

¹ المنفلوطي، النظرات، ج 1، ص: 106.

² نفس المصدر

النفوس. فأما اليوم وقد أصبح كل امرئ موكولا إلى نفسه ومسؤلا أمام ربه وضميره أن يتفقد جيرته وأصدقائه وذوي رحمه ويلتمس مواضع خلاتهم وحاجاتهم ليسدها، فهاهم الفقراء يموتون جوعا بين كثبان الرمال وفوق شعاف الجبال من حيث لا راحم ولا معين".¹

ويحر المنفلوطي بانفعاله في مثل هذا الحادث المؤلم، المشاعر البشرية الظاهرة في نفوس البشر التي لولاها ما سمي الإنسان إنسانا وما استحق أن يعيش بين البشر بل حق له أن يكون بين الحيوانات والجمادات بل ربما كان هذا قليلا على أمثاله من غير الراحمين.

هكذا يمضي المنفلوطي في ترغيبه لفضيلة الإحسان والعطف على البائسين من الأراامل واليتامى والمعوزين من الفقراء وذوي الحاجات وهذا يدل على الإنسانية التي تدور في خواطر المنفلوطي.

"الصيد"

هذا المقال اجتماعي هادف يحكي فيه المنفلوطي أنه التقى بصديق له قص عليه قصة صياد كان لقيه أثناء شرائه سمكاً. وقد نقده الثمن بلا مساومة، ففرح الصياد ودعا له بدعوة هي لب الموضوع وجوهره حيث قال له:

" أحسن الله إليك كما أحسنت إلى وجعلك سعيدا في نفسك كما جعلك سعيدا في مالك."²

فإن هذا الرجل قد فرح فرحا شديدا بهذه الدعوة. وعجب بأن شيخا عاميا قد أهدى إلى معرفة حقيقة لا يعرفها إلا القليل من الخواص.

فإن المنفلوطي يجد في هذه الدعوة أنها تناولت موضوعا اجتماعيا ذا أهمية واضحة وهو: الدعوة بسعادة النفس التي لا تتوفر لكل إنسان سعيد في مظهره. وبعض الناس يحصلون على

¹ نفس المصدر، ج:1 ص: 107

² المنفلوطي، النظرات ج:1 ص:68.

مزيد من المال ورفعة في السمعة ومع ذلك لايشعرون بالسعادة في نفوسهم لأن هذه الأمور متع زائلة وغيم مؤقتة فلا دوام إلا الله سبحانه وتعالى. وكلما حاز المرء من كثرة المال وعلو الصيت تمنى المزيد منه ولا يشكر الله حق شكره.

والمنفلوطي عندما يتناول موضوعا مثل هذا إنما يتناوله عن طريق القصة والحوار ليكون ذلك الموضوع أقرب إلى قلب السامع وإنتباهه لأن بعض الأحيان النصح بطريق مباشر قد يؤدي إلى الملل والسامة من قائله.

ومن الممكن أن هذه القصة من بنات خيال المنفلوطي ولم تحدث في الخارج ما حكاها عن صديق له.

هذا ينقل لنا حديث القناعة على لسان الصياد وإجابة على سؤال سائل قال له: "ألا يحزنك النظر إلى الأغنياء في أثاثهم ورياشهم وقصورهم ومراكبهم وخدمهم ومطعمهم ومشربهم؟ ألا يحزنك هذا الفرق العظيم بين حالتك وحالتهم؟ قال"إنما يصغر جميع هذه المناظر في عيني ويهونها عندي أني لأجد أصحابها قد نالوا من السعادة بوجودها أكثر مما نلته بفقدانها."¹

ثم يقول:

"لا فرق بيني وبين الغني، إلا أن الناس لاينهضون إحلالا لي إذ رأوني ولا يمدون أعناقهم نحوي إذا مررت بهم، وأهون به من فرق لاقيمة له عندي، ولا أثر له في نفسي وما يعنيني من أمرهم إن قاموا أو قعدوا أو طاروا في الهواء أو غاصوا في أعماق الماء، مادمت لاعلاقة بيني وبينهم ومادمت لأنظر إليهم إلا بالعين التي ينظر بها الإنسان إلى الصور المتحركة."²

¹ المنفلوطي، النظرات ج 1 ص:69

² المصدر السابق ج 1 ص:70

وإن هذا المعنى كما ذكر المنفلوطي على لسان صياد. ماخوذ من القرآن والسنة، وإن المنفلوطي متأثر بالإسلام وقوانينه في الوجهات الإنسانية، كما يتجلى هذا المعنى في جميع مقالاته وقصصه.

كما قال تعالى (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)¹

”الحرية“

وضح المنفلوطي في هذا المقال أهمية الحرية سواء كانت هذه الحرية للإنسان أو الحيوان والطيور ويرى أنها ضرورية بل هي فطرة كل مخلوق في هذا الكون أما إذا سلبت منه فهذا يرجع إلى تغير الظروف والأحوال المادة به.

فإن المقال يبدأ بحديث صوت هرة تموء بجانب فراشه حتى اسيتقظ بصوتها وتمسح به وتلح إلحاحا غريبا مما جعله يرتاب في أمرها وظنها جائعة، فقدم لها طعاما وشرابا ولكنها لم تلتفت إلى شيء منه فأرشدتها إلى الماء وتطيل النظر إلى باب الغرفة مع الهواء الشديد فعلم حاجتها وأسرع ليفتحه لها فما وقع نظرها على الفضاء ورأت وجه السماء حتى استحالت حالتها من حزن وهم إلى غبطة وسرور وانطلقت تدعو في سبيلها. فعلم أنها تدرك معنى الحرية وقيمتها ولولا إدراكها لذلك لما كان طول حزنها وعلو موائها وكثرة تمسحها، حتى تبلغ هذه الحرية فطارت فرحا وسرورا.

وهنا يجد المنفلوطي متنفسا للحديث عن أسرى الاستبداد والظلم من بني الإنسان لايشعرون بما تشعر به الهرة المحبوسة في الغرفة وأصبح الحيوان الأعجم أكثر منهم شعورا بالظلم وتطلعا إلى الحرية، فيقول:

” من أصعب المسائل التي يحاد العقل البشري في حلها أن يكون الحيوان الأعجم أوسع ميدانا في الحرية من الحيوان الناطق فهل كان نطقه سؤما عليه أو على سعادته وهل يجعل

¹ سورة النحل، آية 96.

به أن يتمنى الخرس والبله ليكون سعيدا بحريته كما كان سعيدا بها قبل أن يصبح ناطقا مدركا".¹

ثم يمضي المنفلوطي في مقاله، معبرا عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وما صنع الإنسان من القيود للإنسان الآخر بقوله:

" صنع الإنسان القوي للإنسان الضعيف سلاسل وأغلالا وسماها تارة ناموسا، وأخرى قانونا ليظلمه باسم العدل ويسلب منه جوهره حريته باسم الناموس والنظام".²

تم يعدد كاتبها أنواع الاستبداد وتطوره منذ بدء الخليقة حيث كان يعيش عاريا طليقا فوضعت له قيود الملابس وقيل له هكذا نظام الأزياء وعندما كان يأكل ويشرب بلا قيود أو نظام فقيل له هكذا نظام الأكل والشرب وخوف من المرض والموت.

وقيدت حريته في حديث فلا ينطق إلا ما لا عليه غضب من هو أعلى منه منصبا وأفضل منه جاها، ولا يتحرك إلا كما تتطلبه قوانين العادات والمصطلحات فإن المنفلوطي يطالب الحرية الكاملة وقد حرم سلبها لأنها في الحقيقة سعادة الحياة وهذا هو الطريق إلى السعادة الفردية فيقول:

"لا سبيل إلى السعادة في الحياة إلا إذ عاش الإنسان حرا مطلقا لا يسيطر على جسمه وعقله ونفسه ووجدانه وفكره مسيطر إلا أدب النفس".³

الحرية هي الحياة ولولاها لكانت حياة الإنسان أشبه بحياة اللعب المتحركة في أيدي الأطفال بحركة صناعيه حتى يقول المنفلوطي:

"إن الإنسان الذي يمد يديه لطالب الحرية ليس بمتسول ولا مستجد، وإنما هو يطلب حقا من حقوقه التي سلبته إياها المطامع البشرية، فإن ظفر بها فلا منة لمخلوق عليه ولا يد لأحد عنده".¹

¹ المنفلوطي، النظرات، ج 2، ص:86

² المصدر السابق، ج:2، ص:86.

³ نفس المصدر، ج 2، ص:87

هكذا يبدو لنا المنفلوطي في هذا المقال عالي الصوت قوي النبرات ليطالب بحق فطري من حقوق الإنسان المسلوقة وهي حرته التي طغى عليها الاستعمار فأنساه حتى الإحساس بهذا الظلم، وهو بهذا النداء العالي يريد انصافاً لهؤلاء المظلومين من ضحايا الإستعمار الغاشم سواء كان ذلك في وطنه أوفي أي مكان استوطن بنو الإنسان وهذا من مبدأ سام من مبادي الإنسانية في الأدب.

"الرحمة"

يظهر في هذا المقال سمّ الروح الإنسانية في أدب المنفلوطي إذ يدعو إلى الرحمة. والرحمة عاطفة إنسانية راقية بل هي الينبوع الذي يتفجر منه كل العواطف الإنسانية النبيلة، وهي الأساس أو الركيزة الأولى التي يعتمد عليها السلوك الإنساني الموجه للخير والداعي إلى الفضيلة والأمن والسلام.

فإن المنفلوطي الذي تغمر أمواج الرحمة قلبه يدعو إليها صراحة فيقول:

" إن الرحمة كلمة صغيرة ولكن بين لفظها ومعناها فرق عظيم وبون بعيد مثل ما بين الشمس في منظرها والشمس في حقيقتها".²

ويقول:

" أيها الرجل السعيد: كن رحيمًا، أشعر قلبك الرحمة، ليكن قلبك الرحمة بعينها".

ولا يكتفي بهذا الكلمات فحسب بل يبين أن الرحمة والشفقة عبارة عن شجرة تشفي لجرح المكروبين، فيقول:

" ستقول إني غير سعيد، لأن بين جنبي قلبا يلم به من الهم ما يلم بغيره من القلوب، أجل، فليكن ذلك كذلك ولكن أطعم الجائع وأكس العاري وعز المحزونين. وفرج كربة المكروب، يكن لك من هذا المجموع البائس خير عزاء يعزّيك عن همومه وأحزانك، ولا تعجب أن

¹ المصدر السابق، ج: 2، ص: 86.

² النظرات، ج1، ص: 48.

يأتيك النور من سواد الحلك. فالبدر لا يطلع إلا إذا شق رداء الليل، والفجر لا يدرج إلا من مهد الظلام".¹

ثم يبين لنا الفئات التي تستحق الشفقة والعطف والتي يجب عليها أن تبذل الرحمة والحنان فيذكر واحدة بعد أخرى، فيقول:

"أحسن إلى الفقراء والبانسين وأعدك وعدا صادقا أنك ستمر في بعض لياليك على بعض الأحياء الخاملة فتسمع من يحدث جاره عنك من حيث لا يعلم بمكانك، إنك أكرم مخلوق وأشرف إنسان، ثم يعقب الثناء عليك بالدعا لك أن يجزيك الله خيرا بما فعلت....

وكذلك تجب الرحمة للمحزونين والمنكوبين فيقول:

" ليتك تبكى كلما وقع نظرك على محزون أو مفؤود فتبتسم سرورا ببيائك.. واغتباطا بدموعك، لأن الدموع التي تنحدر على خديك في مثل هذا الموقف إنما هي سطور من نور تستجل لك في تلك الصحيفة البيضاء: إنك إنسان".

ويصور المنفلوطي المجتمع ومعناه فيقول:

"الفرد هو المجتمع وإنما يتعدد بتعدد الصور أتدري متى يكون الإنسان إنسانا؟ متى عرف هذه الحقيقة حق المعرفة وأشعرها نفسه. فحقق قلبه لخفقان القلوب وسكن لسكونها".²

ثم يذكر الأرامل واليتامى في قوله:

" ارحم الأرملة التي مات عنها زوجها، ولم يترك لها غير صببية صغار ودموع غزار ارحمها قبل أن ينال اليأس منها ويبعث الهم بقلبها فتؤثر الموت على الحياة".³

وكذلك الزوجات ممن هن أجرد بالرحمة والعطف.

¹ المصدر السابق ج1، ص: 47.

² المصدر السابق ج 1، ص: 49.

³ المصدر السابق: ج1، ص: 50.

" إرحم الزوجة أم ولدك وقعيدة بيتك ومرآة نفسك وخادمة فراشك لأنها ضعيفة، ولأن الله قد وكل أمرها إليك، وما كان لك أن تكذب ثقته بك".

وكذلك ذكر الأولاد من المهد إلى الرشد يحتاجون إلى هذه الرحمة والعطف حتى ينشأوا نشأة سليمة فيقول:

" إرحم ولدك وأحسن القيام على جسمه ونفسه فإنك إلا تفعل أو أشقيته فكنتم أظلم الظالمين".

ويتسع قلب المنفلوطي بما فيه من رحمة وعطف فأحاط بالجهلاء والحيوانات والطيور لأن كلا من هؤلاء لا يستطيع أن ينتصف لنفسه ولا أن يعبر عما يطيق عليها من ظلم وعذاب.¹ ويختتم المنفلوطي مقاله بدعوة عامة إلى كل السعداء بأن تحسنوا إلى الأشقياء في الأرض ليظفروا برحمة السماء، فيقول:

"أيها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء، وامسحوا دموع الأشقياء وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". وهذه الفكرة مأخوذة من القرآن والسنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)

¹ نفس المصدر ج:1 ، ص: 51.

”البائسات”¹

البائسات مقالة قيمة التي كتبها المنفلوطي ضد الظلم على المرأة البائسة قد حكى لنا قصة فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، زوجها والدها كرها من رجل عجوز وحشى الخلق والخلق وزفوها إليه فحاول أن يفترشها فأبى الانقياد له فحاول أن يخضعها لأمره ومشيته، ولكنه لم يفلح، فضربها ضربا مبرحا، ففرت إلى منزل أهلها ولكنهم أعادوها إلى منزل زوجها كما يعاد المجرم الفار من سجنه إليه مرة أخرى. ولكنها فرت منه مرة أخرى بينما استمر الأهل في أسلوبهم معها وموقفهم منها، فلما يئست من مناصرتهم خرجت هائمة على وجهها في الطريق لاتعلم لها مذهبها ولا مستقرا، حتى رفع أمرها إلى الحاكم الذي استدعاها وأواها في منزله رحمة بها ورأفة بحالها ليخلصها وما فرغ من هذه القصة حتى رفعت إليه حادثة أخرى تشبه الحادثة الأولى من جميع وجوهها إلا أنها أشد بلاء ونكبة لأن الزوج خدع زوجته وسقاها مخدرا فعقرها كما عقر شقى ثمود الناقة من قبل.

عرض لنا المنفلوطي مشكلتين متشابهتين هما نموذجان للظلم الذي يقع على المرأة المسكينة التي تظن أنها قد بلغت سن الزواج وأن بقائها في منزلهم عبأ ثقيل وعار ذميم، ولذا يجب زواجها مهما كانت النتائج والظروف دون احترام لرغبتها واستعدادها النفسي الطبيعي لهذه الحياة الجديدة والتغيرات الطارئة وذكر المنفلوطي أسباب الظلم على المرأة فيقول:

” إن المرأة المصرية شقية بائسة ولا سبب لشقائها وبؤسها إلا جهلها وضعف مداركها إنها لاتحسن عملا، ولا تعرف باب مرتزق، ولا تجد بين يديها سلعة تتجربها وتقتات منها إلا قلب الرجل، فإن استطاعت أن تمتلكه عاشت عيشا رغدا أولا، فلا مفر لها من الشقا من المهد إلى اللحد”².

¹ المنفلوطي، النظرات، ج 1، ص: 125.

² نفس المصدر ج: 1، ص: 126.

ثم تناول قضية ظلم المرأة من جانب آخر وظلم زوجها حيث عرض علينا قصة امرأة رآها واقفة بجوار منزل صديق له كان يريد زيارته، رآها رثة الثياب بائسة الحال يتعلق بأذيالها صبية وكأنما هي الخلال رقة وهزيلا فسألها عن شأنها فأخبرته أنها طلقت من زوجها وترك لها الصبية على أن يقوم بالنفقة على أولاده. وواظب على ذلك مدة ثم توقف مدة طويلة حتى أصبحوا على حالهم وأنها ما أنتت إلى هذا الرجل إلا لتستعين به على أمرها، ثم أخذت تشرح من حالها وحال أطفالها في مقاساة الشدة ومعالجة القوت، فخفف عنها ما بها من ألم ثم ذهبت لشأنها وفي صبيحة اليوم التالي سمع عن امرأة ماتت على إثر حمى أصابتها وحاول أن يعلم من هي؟ فعلم أنها صاحبتة بالأمس وأنها ماتت شهيدة الزوجية الفاسدة. فحزن عليها حزنا شديدا ورثى لحال أبنائها من بعدها لأنهم فريسة ظلم الأب بل فريسة الزوجية الفاسدة. وبعد بيان قصة الظلم على المرأة بدأ موقفه الإنساني فأخذ ينطق بلسان عاطف على المظلومين على وجه البسيط فيقول:

" أيها الرجل إن كنت تعتقد أن المرأة إنسان مثلك وهبها الله مدارك مثل مداركك واستعدادا مثل استعدادك، فعلمها كيف تأكل لقمتها من حرفة غير هذه الحرفة النكدة، وإلا فأحسن إليها وارحمها كما ترحم كلبك وشأتك.

إن كنت زوجا فلا تطردها من منزلك بعد أن تقضى مأربك منها كما تصنع بنعلك التي تلبسها، وإن كنت أبا فهذه فلذة كبدك فلا تضق بها ذرعا ولا تلق بها في حجر وحش ضار يأكل لحمها ويمتص دمها ثم يلقي إليك بعظامها.

ويا أيها المحسنون: والله لأعرف لكم بابا في الإحسان تنفذون منه إلى عفو الله ورحمته أوسع من باب الإحسان إلى المرأة.

علموها لتجعلوا منها مدرسة يتعلم فيها أولادكم قبل المدرسة، وأدبوها لينشأ في حجرها المستقبل العظيم للوطن الكريم.¹

¹ المصدر السابق ج 1، ص: 127

هكذا تبدو لنا كلمات المنفلوطي التي تحرك العواطف الإنسانية في النفوس وتفيض حنانا ورحمة وتعمر بالقيم الإنسانية السامية وما ذاك إلا لأنه إنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان نبيلة قديرة.

"احترام المرأة"

هذا المقال كتبه المنفلوطي وقد عالج فيه قضايا المرأة في الحياة البشرية. وهي ضرورة نظرا إلى امرأة على أساس أنها إنسان متكامل له حقوقه واحتياجاته مثل الرجل تماما، وهي عماد الرجل وملاك أمره وسر حياته؛ مع عدم الإنكار لقوامة الرجل عليها. ولكنه يؤكد أن المرأة عضو فعال في بناء المجتمع وفي سعادته فيقول:

"إن الحياة مسرات وأحزان أما مسراتها نحن مدينون بها للمرأة لأنها مصدرها وينبوعها الذي تتدفق منه، وأما أحزانها فالمرأة هي التي تتولى تحويلها إلى مسرات أو ترويحها عن نفوس أصحابها على الأقل، فكأننا مدينون للمرأة بحياتنا كلها".¹

ويقول إن المرأة لها فضل عظيم في العالم لأن الأطفال الذين استطاعوا في هذا العالم أن يعيشوا سعادة على أيدي أمهاتهم بعد موت آبائهم ولكن الرجل لا يشكر للمرأة تلك النعمة فيقول:

"قد نحنو عليها ونرحمها، ولكنها رحمة السيد بالعبد، لارحمة الصديق بالصديق وقد نضمها بالعفة والطهارة ومعنى ذلك عندنا عفة الخدر والحناء لاعفة النفس والضمير وقد نهتم بتعليمها وتخريجها ولكن لا باعتبار أنها إنسان كامل لها الحق في الوصول إلى ذروة الإنسان التي تريدها والتمتع بجميع صفاتها وخصائصها.... ويقول: إنها لا تريد شيئا من ذلك إنها لا تريد أن تكون سرية الرجل ولا حظيته ولا أداة لهوه ولعبه بل صديقه وشريكة حياته إنها تفهم معنى الحياة كما يفهمها الرجل فيجب أن يكون حظها منها مثل حظه".²

¹ المنفلوطي، النظرات، ج 2، ص: 49.

² نفس المصدر، ج 2، ص: 50.

وهذه المطالبة من الكاتب بالمساوات في الحقوق بين كل من الرجل والمرأة إنما هي أثر من آثار الإسلام الحنيف. لأن الإسلام أعطى كلا منهما حقوقا مساوية كما قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)¹.

والمنفلوطي حريص كل الحرص على دعوته إلى هذه المساواة وفي الوقت نفسه لا يطالب بالتبرج والخروج إلى مجتمعات الرجل وأنديتهم ، بل جل ما يريده هو حسن معاملة المرأة كما يقول:

"لأريد أن تتخلع المرأة وتستهر وتهيم على وجهها في مجتمعات الرجال وأنديتهم وتمزق حجاب الصيانة والعفة المسبل عليها كذلك لأحب أن تكون جارية مستعبدة للرجل، يملك عليها كل مادة من مواد حياتها يأخذ عليها كل طريق حتى طريق النظر والتفكير"².

إن المنفلوطي يدعو إلى حسن معاشرة النساء وتقدير إنسانيتهن، وهذه من غير شك دعوة إنسانية كريمة توجد في دين الإسلام وتعاليمه.

ويقول في آخر المقال:

"فإما أن تكون المرأة مساوية للرجل في عقله وإدراكه أو أقل منه. فإن كانت الأولى فليعاشرها معاشرة الصديق للصديق، والنظير للنظير وإن كانت الأخرى فليكن شأنه شأن المعلم مع تلميذه والوالد مع ولده أي أنه يعلمها ويدربها ويأخذ بيدها حتى يرفعها إلى مستواه الذي هو فيه ليستطيع أن يجد منها الصديق الوفي والعشير الكريم ، والمعلم لا يستعبد تلميذه ويستذله، والأب لا يحتقر ابنه ولايزديه"³.

هكذا دفع المنفلوطي الظلم عن المرأة وأعلى صوت الحقوق الإنسانية فيها وطالب المساواة بين الرجل والمرأة وقد كتب في هذا الموضوع كثيرا من المقالات مثل "احترام المرأة"، "الرجل والمرأة"، "البائسات" وغيرها.

¹ القرآن، سورة النساء، آية 124

² المنفلوطي، النظرات، ج: 2، ص: 49

³ نفس المصدر، ج: 2، ص: 51.

"الكوخ والقصر"

أنا إن كنت حاسدا أحدا على نعمة فإني أحسد صاحب الكوخ على كوخه قبل أن أحسد صاحب القصر على قصره. قد بدأ المنفلوطي المقال بهذا الكلمات وقد ناقش فيه الفرق بين الفقراء والأغنياء وحياتهم. فغبط الأول لأنهم أرواح بالا وأسعد حالا ورثي للآخر لأنهم يغوصون في بحر ليس لأواجه استقرار ولا لهديره سكون، فإن الغني دائم القلق والتفكير في الحال والمستقبل.

إن الغني يفكر في الحاضر ويتركز في حرصه الشديد على ثروته الحاضر لذا يحرم نفسه من لذة الاستمتاع بها ويكون ذلك أصعب حالا من ذلك المعدم الفقير.

وأما تفكيره في مستقبله، فهو لا يقل خوفا ولا قلقا عن تفكيره في حاضره، فهو مازال يفكر في أنجح الطرق لاستثمار أمواله حتى تكون أضعاف ما هي لديه وذلك يريد احترام الناس له، وتكثر نظرات الإعجاب والتقدير لما يملكه وهكذا تفوته لذة العيش ومسرة الحياة التي كان ينبغي أن ينعم بها والتي يحسده الناس عليها لعدم علمهم الأمور وحقائقها فيقول المنفلوطي:

"أرثي له إن رأيت يتربص وقوع الضائقة بالفقير ليدخل عليه مدخل الشيطان من قلب الإنسان فيمتص الثمالة الباقية له من ماله ليسد في وجهه باب الأمل وأرثي له إن رأيت يعتقد أن المال هو منتهى الكمال الإنساني فلا يطمع في فضيلة ولا يحاسب نفسه على رذيلة وأرثي له وأبكى على عقله إن مشى الخيلاء وطول بعنقه السماء".¹

فإن المنفلوطي يرى أن المال والمنصب ليس في الحقيقة من أسباب الاحترام والإكرام لأن المال والمنصب عروض زائلة لاقيمة لها في ميزان الإنساني الرفيع فيقول:

"لقد بلغ التسفل وصغر النفس بكثير من الناس أنهم يحفلون بالأغنياء لأنهم أغنياء وإن كانوا لاينالون منهم ما يبيل غلة أو يسيغ غصة وليت شعري إن كان لابد لهم من إجلال المال

¹ المنفلوطي، النظرات، ج 1، ص: 104

وإعظامه حيث وجد، فلم لا يقبلون أيدي الصيارفة، ولا ينهضون إجلالا للكلاب المطوقة بالذهب. وهم يعملون ألا فرق بين هؤلاء وهؤلاء؟"¹

إن المنفلوطي لا يفرق بين الغني البخيل وبين الحيوان المطوق بالذهب لأن الحيوان يملك المال ولكنه لا يستطيع أن يتصرف منه شيئاً، وكذلك الغني فإن بخله وضنه يمنعه من التصرف على غيره ونفسه. معنى ذلك أن الحيوان لو علم المال وقيّمته لتصرف فيه ولكنه لا يعرف قيمة المال.

وبعد ذلك يرجع المنفلوطي إلى تحريض الفقراء على الأغنياء فيقول:

"لو عامل الفقراء بخلاء الأغنياء بما يجب أن يعاملوا به لوجدوا أنفسهم في وحشة من أنفسهم، وليشعروا أن بدرات الذهب التي يكنزونها إنما هي أساور ملتفة على أقدامهم، وأغلال آخذة بأعناقهم، ولعلموا أن الشرف في كمال الأدب لا في رنين الذهب، وفي جلائل الأعمال، لا في أحمال المال. فلعظم الناس الكرماء، وليحتقروا الأغنياء، وليعلموا أن الشرف شيء وراء الغنى والفقير، وأن السعادة أمر وراء الكوخ والقصر"².

إن المنفلوطي رجل فاضل وإنسان نبيل بكل ما تحمله كلمة الإنسانية من معان سامية فلا خير له عنده من المال إلا إذا أنفق في وجوه الخير والبر وكذلك الفقر ليس شيء مضر بل الفقراء عنده يعيشون عيشة راضية إلا أن يظنوا أن الغني أسعد الناس حظاً وأرغدهم عيشاً.

”التوبة“³

¹ المصدر السابق، ج:1، ص: 104.

² المصدر السابق، ج:1، ص: 105.

³ المنفلوطي، النظرات، ج 3، ص 49.

يحكي لنا المنفلوطي في هذا المقال قصة تدور حول شاب مثقف وفتاة شابة جميلة الشكل في منزل المجاور له وكان الشاب قاضيا في المدينة يعيش فيها. فحاول رؤيتها مرة فتعلقها، فكررها أخرى فبلغت منه فتراسلا ثم تزاورا ثم افترقا وقد ختمت روايتهما بما تختم به كل رواية غرامية حتى عادت الفتاة تحمل بين جنبيها هما يضطرم في فؤادها وجنينا يضطرب في أحشائها.

ولم تجد بدا من القرار بما حملت إلى حيث لا يراها أحد ممن يعرفها وكان أهون عليها أن يبكيها والداها بكاء على الموتى بدلا من أن يبكيها وهي حية.

حتى جائها المخاض في وحدتها، فزاد همها وازدوج حزنها ولم تجد ما تسد به حاجتها وحاجة ابنها إلا حليها فباعتها وباعت جميع ما تملك يدها وما يحمل بدنها ولم يبق لها إلا قميصها الخلق وبرقعها ولم يبق لطفلتها إلا أسمال باليات . وقد علمت امرأة عجوز بما تكابده هذه المسكينة ووجدت فيها جمالا ملموسا فكأنها وجدت فيها ضالتها المنشودة. فأرسلت لها شياطين من الرجال الفاسقين ولم تجد البائسة بدا من بيع عرضها وكرامتها.

"عاشت تلك البائسة في منزلها الجديد عيشا أشقى من عيشها الأول في منزلها القديم لأنها ما كانت تستطيع أن تصل إلى لقمته، وهي كل ما حصلت عليه في حياتها الجديدة. إلا إذا بذلت راحتها وشردت نومها، وأحرقت دماغها بالسهر، وأحشاءها بالشراب، وصبرت على كل من يسوقه إليها حظها من سباع الرجال وذئابهم، على اختلاف طبائعهم وتنوع أخلاقهم. لأنها لم تر بدا من ذلك. فاستسلمت استسلام اليأس الذي لم تترك له ضائقة العيش إلى الرجاء سبيلا".¹

وعاشت فترة من حياتها راضية بما هي فيه حتى اتهمها أحد من الرجال الفاسقين بسرقة، ورفع أمرها إلى القضا وكان القاضي هو نفس الشاب الذي سلب عرضها وكرامتها فما رأته في مجلس القضاء حتى صرخت صرخة دوت بها أرجاء القاعة ورفضت أن يكون هذا الشاب قاضيا في القضية التي كان هو سبب جرمها.

¹ المنفلوطي، النظرات، ج 3، ص: 52.

"رويدك يا مولاي القاضي ليس لك أن تكون قاضيا في قضيته! فكلانا سارق وكلانا خائن، والخائن لا يقضي على الخائن واللص لا يصلح أن يكون قاضيا بين اللصوص.

... أنا سارقة المال، وأنت سارق العرض، والعرض أثمن من المال، فأنت أكبر مني جناية، وأعظم جرماً.

إن الرجل الذي سرقت ماله يستطيع أن يعزى نفسه عنه باسترداده أو الإعتياض عنه، أما الفتاة التي سرقت عرضها فلا عزاء لها. لأن العرض الذاهب لا يعود".¹

فتعجب الناس بأمرها وحينئذ حسرت عن وجهها الغطاء عرفها الشاب ولكنه أراد أن يخفي وينتصف لنفسه منها وأن يرفع عن نفسه الأمور الماضية فادعى أنه ذهلت عن نفسها وأضاعت عقلها ولا بد من معالجتها، وصدقه الناس وبعد أيام استقال من وظيفته، ثم عاد إليها وتزوجها واصطحبها معه إلى مدينة أخرى حيث لا يعرفها أحد من الناس وعاش مع ابنيهما في أمن وسلام لا ينقصهما عليهما منقص.

"فرجع القاضي رأسه ونظر إلى ابنته الصغيرة نظرة رحمة وإشفاق وقد قرر في نفسه ألا بد له من أن ينصف تلك البائسة وينتصف لها من نفسه، غير أنه أراد أن يخلص من هذا الموقف خلوصاً جميلاً.... ما هي إلا أيام قلائل حتى استقال من منصبه بحجة المرض ولم يزل يسعى سعيه حتى ضم إليه ابنته واستخلص أمها من قرارتها وهاجر بها إلى بلد لا يعرفهما فيه أحد، فتزوج منها وأنس بعشرتها".²

قد تناول المنفلوطي موضوعات تدل على نفس طيبة رحيمة تبين مواضع الخطأ في المجتمع ثم تدل على الطريقة الناجحة لعلاجها.

فتصرف القاضي الشاب هذا التصرف إنما هو موقف إنساني فاضل لأن الرجوع في الحق فضيلة والتعادي في الباطل طغيان وظلم، وقد علم الشاب خطأه فحاول إصلاحه، وكان من الممكن أن يتمادى في إثمه ويسبى إلى المرأة مرة أخرى ولكن يقظة الضمير الإنساني في

¹ المنفلوطي، النظرات، ج 3، ص: 53.

² نفس المصدر، ج 3، ص: 54.

نفسه منعته من ذلك. وأراد أن ينتصف للمرأة من نفسه الشريرة الظالمة وكفر عن إسانته السابقة بالإحسان إليه والزواج منها، وهذا موقف عظيم للإنسانية يحرك عاطفة المنفلوطي فجعله موضوعاً في المقال ليكون عبرة وعظة للآخرين في المجتمع.

”الزهرة الزابطة“¹

يتحدث المنفلوطي في هذا المقال عن قصة شاب في السابعة عشرة من عمره أرسل إليه رسالة ينبئ فيها أنه حصل على شهادة الدراسة الابتدائية ثم تقدم لامتحان الكفاءة فلم يفلح. فحاول الكد للعام المقبل ولكن لم يكن يعرف خلال ذلك ما قدر له من قضاء الله عليه فأصيب بالحمى العضال الذي وضعه وما كاد يشفى منه بعد مدة حتى أصابه الصمم الكامل فضاعت بذلك آماله وأظلمت الدنيا أمام عينيه، فأرسل إلى المنفلوطي يستشيريه ويستغيث بمواساته في مصابه وحينما وصلت هذه الرسالة وقرأ المنفلوطي اضطرب وشعر بشدة الكارثة وألم البلاء، فأخذ يقول:

”لا أستطيع أن أعزيك عن مصابك يابني، فهو فوق ما يحتمل المتحمل، ويطيق الجاد الصبور ولو حاولت ذلك منه لكذبتك وغششتك، وكان شأني مع شأن أولئك الخادعين من المعزين الذين يتخلفون ليلهم ونهارهم إلى منازل المنكوبين والمرزوين ليقولوا للتاكل (لقد قدمت بين يديك شفيحاً يسمح لك يوم حسابك بين يدي ربك وللباكي أباه مامات من خلف مثلك وللباكي أخاه إن في الباقي عزاء عن الماضي“.

ولكن المنفلوطي يرفض هؤلاء المعزين فيقول:

”وكانهم يحسبون أن الفواجع والرزايا صفقات تجارية إذ قاس فيها المرء ربحه بخسرانه ووازن بين دخله وخرجه، هان عليه هذا لذلك واغتفر ما فات لما هو آت ولا يعلمون أن

¹ المنفلوطي، النظرات، ج 2، ص 38، مكتبة إحسان لكتاؤ، الهند.

الحنن على الذاهب المفقود إنما هو زفرة من زفرات الحب أو نفثة من نفثات الود ولا دخل للحساب والمعارضة في شيء من ذلك..¹

ويرى المنفلوطي الأمور على حقيقتها وقيسها بمقياسها الصحيح فيضع لها ما تستحقه من تصرف ويشعر اتجاهها الشعور اللازم لها، فهو يرى أن الأم تبكي وحدها كما تبكي عاشر عشرة من أولادها. والصديق يبكي فراق صديقه وإن كثر أصدقائه في كل مكان وكذلك الزوجة تبكي زوجها وإن كانت تحت كل نافذة من نوافذها خطيب يترقبها فيخاف المنفلوطي من أن يكون من الكاذبين في التعزية فيقول:

"وأعوذ بالله أن أكون يابني من الكاذبين في تعزيتك أو الغاشين لك فيها وأردت نفسي على ذلك لما استطعت، وكيف يستطيع أن يعزيك عن مصابك من لا يستطيع أن يعزّي نفسه عن مصابه فيك، فقد ترك كتابك هذا بين جنبي لوعة من الحزن لأحسب أنها دون لوعتك التي تغلج بين جنبيك من الحزن على نفسك، حتى صرت كأني أنا الذي ابتليت بما ابتليت به وكأن الذي أصابك من البلاد قد أصابني من دونك، فلقد انقطع عنك بفقدك سمعك أيها البائس المسكين كل ما كان بينك وبين الناس جميعا من سبب وصلة. فأصبحت وأنت في دار الأانس والاجتماع، وبين ضوضاء الحياة وضجيجها، كأنك تعيش من وحشتك وكأبتك مدينة محجرة من مدن التاريخ القديم. لاتأنس فيها بأحد ولا يأنس بك فيها أحد، ولا ترى بين يديك إلا نصبا مائلة، وتمائيل جامدة"².

هكذا يمضى المنفلوطي في مواساة الشاب على طريقة من المشاركة الوجدانية والشعور الصادقة بمصائبه، ذلك الشعور الذي يظنه السامع أنه تعظيم للبلاء وتبسيط للعزيمة. وهذا قمة المواساة والإحساس بحقائق الأمور، فهو بطريقته يريد من الشاب أن يكون جلدا، صبورا، واقعا في مواجهته لصدمات الحياة، ويريد منه ألا يصدم بمعاملة الناس له أو من

¹ المصدر السابق، ج:2، ص: 39.

² المصدر السابق، ج: 2، ص: 40.

المواقف التي يواجهها في حياته خلال مصابه سواء كان ذلك من ضحك أو استهتار أصحاب النفوس المريضة من الناس أولئك الذين لا يشعرون ببلاء غيرهم ومصابهم.¹

ولا ينسى في نهاية مقاله أن يواسيه أيضا بكلمات مملوءة بالإحساس العميق والمشاركة الحقيقية فيقول:

"وكثير عليك يا بني وأنت زهرة يانعة في روض الشباب وابتسامة لامعة في ثغر الآمال. وفجر مشرق في سماء الحياة أن تصعد على هذه الربوة الزاهرة المخضلة من ربي الحياة، فلا تلبث إلا قليلا حتى يمر بك فارس الدهر فيختطفك من مكانك ثم لا يعدو بك إلا قليلا حتى يلقىك على هذه الصخور الصماء".²

ثم يختتم الأديب مقاله بدعاء مخلص لهذا الشاب يشعر القاري له بصدق شعوره وإنسانيته فيقول:

"فوا رحمته لك يا بني مما لك اليوم، ومما يستقبلك به الدهر غدا فأسأل الله تعالى لك أن يرفع عنك محنتك، أو يمنحك عينا ثرة من الدمع لا ينضب معينها، تسكب منها صباح كل يوم ومسائه سجلا على فؤادك الملتاع فتبرد غلته وتفتأ لوعته فالدموع هي الرحمة العامة التي يلجأ إليها المنكوبون المحزونون يوم لا يجدون لأنفسهم في مذهب من مذاهب الأرض ولا في سبيل من سبل السماء ناصرا ولا معينا، والسلام عليك، من الرائي لك، الباكي عليك، ورحمة الله".³

هكذا رأينا المنفلوطي في كلماته شدة وقع الكارثة على نفسه ومدى إحساسه بمصائب الناس حوله.

وهذا دليل على الإنسانية وفكرها في معالجته لمشاكل الناس حوله.

¹ المصدر السابق، ج:2، ص:39.

² المصدر السابق، ج:2، ص:41.

³ نفس المصدر، ج:2، ص:41.

خاتمة

وفي نهاية هذا البحث، بعد دراسة كتابات المنفلوطي وأسلوبه وطريقته الجديدة في كتاباته الأدبية ودوره البارز في إثراء الأدب العربي وحبه الشديد للأدب، يمكنني القول إن مصطفى لطفى المنفلوطي أديب عبقرى، إمام البيان العربى، ذو أسلوب خاص يمتاز به عن الأدباء الآخرين فى العصر الحديث، وقد ولد ونشأ فى الجو الذى شاعت فيه مرارة الظلم وقسوة الاستبداد وشدة الجوع وظلمة الجهل، وكذلك عمت الخرافات والفساد والعيوب فى الدين والسياسة فى مصر، وكان الناس يواجهون المشاكل والمصائب من الحكام الظالمين الذين ضيقوا الحياة الاجتماعية بهم من أمن وراحة وطمأنينة، فتبدلت الأرض غير الأرض وضافت على المصريين بما رحبت.

وكذلك المنفلوطى كان له عشرة أولاد ولكن مات أكثرهم صغارا. فهذه الحوادث والأوضاع قد تأثر بها المنفلوطى كثيرا، فوجه قلمه إلى المجتمع لتطهيره من المفاصد والخرافات،

وجعل القضايا الاجتماعية موضوعا لمقالاته، فكتب عن الفقر والشقاء، والحرمان، وأعلى صوته ضد الاستعمار والحكام الظالمين على الضعفاء والبهائسين. وبدأ الكتابة لخدمة الإنسانية والدعوة الصادقة إلى التعاطف والرحمة والألفة، كما كان له قلب يخفق ويضطرب مع كل ما حوله من مؤثرات خاصة، وكان متصفا بالثقافة الإسلامية مزينا بالعلوم الشرعية. وبالإضافة إلى ذلك كان على حظ كبير من طيبة النفس والأخلاق العالية والعادات السامية. لأجل ذلك كانت له مشاركة فعالة مع أحاسيس بني وطنه عاملا بنشر الفضيلة بينهم، فبكى بكاء حارا على الوطن المصري وعلى ما حل به من ضيعة المال وفقدان الاستقلال.

وكان المنفلوطي شديد الحب للمجتمع المصري ويفديه بنفسه حتى يقول "لو علمت أن حياة مصر لا يتم لها إلا بفقدان حياتي لكان سبيل الموت أشهى إلى من سبيل الحياة".

ولا شك في أن للمنفلوطي دورا بارزا ملموسا في إثراء الأدب العربي وتحريره من قيود الصناعة اللفظية وزخارفها. وإن ما يمتاز به المنفلوطي في الأسلوب، هو ذلك الأسلوب السائغ المحبب الشفاف الذي تسيل فيه الرقة والسلامة كما يسيل الماء الزلال. إن القارئ يحس بحسن أسلوبه وعذوبته وتمتلك عليه روحه ببيانه الناصع. كما يقال إن أسلوب المنفلوطي كأسلوب ابن خلدون في عصره، فيكتب في أسلوب سهل مرسل خال من السجع المتكلف والمحسنات اللفظية التي تفسد المعنى وتشوه الأسلوب، ويرتقي المنفلوطي بالأسلوب النثري إلى القمة التي يسعى إليها كل أديب في عصره.

وقد مزج ذلك كله بعاطفة جياشة مرهفة تجعل منه النثري ذاتيا تشيع فيه العواطف والأحاسيس، فطالب بالرحمة للفقراء والبهائسين والإنصاف للمظلومين، ودعا الناس دعوة حارة إلى الالتزام بالفضيلة في كل الأمور وبين كل من الناس حتى قال "لو جاز لكل إنسان أن يقتل من يخالفه في رأيه ومذهبه، لأقفرت البلاد من ساكنيها وأصبح ظهر الأرض أعرى مسراة أديم".

وقال داعيا إلى السعادة والحرية "لا سبيل إلى السعادة في الحياة إلا إذ عاش الإنسان فيها حرا مطلقا لا يسيطر على جسمه وعقله ونفسه ووجدانه وفكره مسيطر إلا أدب النفس".

وقد خاض المنفلوطي في جميع الموضوعات في مقالاته ولم يدع بابا إلا كتبه من الموضوعات الحية الاجتماعية أو ترجم من القصص الفرنسية.

ومن خلال هذه الدراسة التحليلية لحياة المنفلوطي قد وصلت إلى النتائج الآتية:

- قد ابتدع المنفلوطي طريقة جديدة في الكتابة الأدبية غير التي شاعت في العصر العثماني وثقلت بالصناعات اللفظية وألوان البديع وملئت بالتشبيهات والمجازات والكنائيات. وإن المنفلوطي علم بارز في أول مدرسة فنية للنثر الحديث تنسب هذه المدرسة إلى اسمه فتقال "مدرسة المنفلوطي أو طريقة المنفلوطي".
- إنه كان عطوفا على الإنسان و متمسكا بفضائلها، فدعا إلى تكريم الإنسان وتمجيده من كل أنواع العبودية، كما أنه نادى بالمساواة والعدل والحب الإنساني والإخاء العالمي والحرية والتعاطف بين الناس، ووضح عيوب المجتمع وخرافاته التي عمت فيه، ودعا المسلمين جميعا إلى العودة إلى مبادئ الدين الصحيحة، حتى تسود الطمأنينة ويعم الأمن في المجتمع، وحتى تتحقق السعادة للجميع.
- وقد عيب على المنفلوطي بالاهتمام الشديد بالأسلوب والفقر في الجانب الفكري، وضيق الثقافة والمبالغة في إثارة العاطفة ثم عدم الدقة في الاستعمال اللغوي كما وصفه إبراهيم عبد القادر المازني بالسطحية والسذاجة والإفراط في الكآبة والحزن وعلى الرغم من ذلك كله أن أثر أسلوب المنفلوطي يبدو واضحا في كتابات الرافعي وطه حسين، والزيات وعبد العزيز البشري وفي الحقيقة أن الأجيال التي جاءت بعده تأثرت به وتلمذت عليه.
- لم يكن للمنفلوطي حظ عظيم من الثقافات واللغات الأجنبية كما كان لعبد القادر المازني ومحمود عباس العقاد وطه حسين، فلم نجد القصة العربية عنده في صورة فن ناضج و كامل، بل بقيت عنده ناقصة ومقطوعة حسب الأصول الراهنة والقواعد الجديدة.
- كان المنفلوطي لم ينل من الثقافة الإسلامية إلا قليلا وضئيلا، لأجل ذلك نجد بعض الاختلال والنقص في كتابته وتراكيبه، وهذه هو من أهم الأسباب وراء الانتقادات والاعتراضات التي صوبت إليه من قبل الكتاب مثل طه حسين والمازني والعقاد.

- كان للمنفلوطي دور بارز في ترقية القصة العربية في العصر الحديث؛ في هذا الصدد من أعرف مخترعاته "العبرات" و"ماجدولين" و"في سبيل التاج" و"الشاعر".
- كان المنفلوطي مفطورا على الثقافة الإسلامية، ومطبوعا عليها؛ هو ولد في بيئة إسلامية وتربى ونشأ فيها، ثم التحق بجامع الأزهر الذي كان مركزا عظيما لها في ذلك الوقت. فكتب كثيرا في حق الثقافة الإسلامية، وخالف الحضارة الأوروبية أشد المخالفة وأعنفها، وكتب كثيرا ضد مفاسدها.
- وقد برع المنفلوطي في ترجمة القصة إلى اللغة العربية وصوغها في صياغة عربية في أسلوب جميل ورائع كأن أصلها يرجع إلى العربية دون اللغة الأجنبية، فلم تظهر فيها آثار الترجمة، ومعالمها.

المصادر والمراجع

- أحمد الشنواني، الخالدون من أعلام الفكر، الجزء الشرقي، دار الكتاب العربي دمشق، القاهرة، عام الطبعة لم يذكر.
- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، اتحاد بكديو، ديو بند، الهند.
- أحمد محمد عوين، شعرية السرد في نظرات المنفلوطي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى 2010م.
- أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في الأدب العربي الحديث، مكتبة الثقافة بيروت، لبنان، عام الطبعة لم يذكر.
- أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، بيروت، 1984م.
- جاد طه الدكتور، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي القاهرة 1985م.
- محمد محمود السروجي الدكتور، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث المعاصر، المطبعة لم تذكر 1998م
- الدكتور إبراهيم عوض، المدخل الإسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر.
- الدكتور أحمد هيكل، الأدب القصصي والمسرحي في مصر، الطبعة الرابعة دار المعارف القاهرة 1983م.
- الدكتور أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية. عام الطبع لم يذكر
- الدكتور أحمد هيكل، دراسات أدبية ، الطبعة الثانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
- الدكتور بهاء الدين محمد مزيد، النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، العلم والإيمان للنشر والتاريخ، إسكندرية، 2007م.

- الدكتور شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف الطبعة العاشرة. عام الطبع لم يذكر
- الدكتور عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م.
- الدكتور عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر 1780 – 1938، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، عام الطبع لم يذكر.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل.
- عاطف أحمد، النزعة الإنسانية دراسات في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، الطبعة الثانية، القاهرة، 1999م.
- عباس محمود العقاد، رجال عرفتهم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. عام الطبع لم يذكر
- عبد الحليم الندوي، عربي أدب كي تاريخ، المجلد الأول، قومي كونسيل برائى فروغ اردو زبان، دلهي الجديد، الطبعة السادسة 2014م.
- عبد العزيز السبيل، أبو بكر قادر، محمد شوكانى، الأدب العربي الحديث، التحرير محمد مصطفى بدوي، مطبعة جامعة كمبريدج، 1992م.
- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث المجلد الأول، دار الفكر العربي، القاهرة 2013م.
- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث المجلد الثاني، دار الفكر العربي القاهرة 2013م.
- عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، عام الطبع لم يذكر.
- القرآن.
- محمد أبو الأنوار، المنفلوطي إمام البيان العربي، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى، القاهرة، 2000م.
- محمد محمد عبد الفتاح، أشهر مشاهير أدباء الشرق، الطبعة الأولى، الناشر حسين حسنين، صاحب المكتبة المصرية، عام الطبع لم يذكر.

- مصطفى لطفى المنفلوطي، مختارات المنفلوطي، مكتبة إحسان، لكاناؤ، عام الطبعة لم يذكر.
- مصطفى لطفى المنفلوطي، الشاعر أو سيرانودي برجراك، مكتبة إحسان، لكاناؤ، عام الطبعة لم يذكر.
- مصطفى لطفى المنفلوطي، العبرات، مكتبة إحسان، لكاناؤ، عام الطبعة لم يذكر.
- مصطفى لطفى المنفلوطي، النظرات، مكتبة إحسان لكاناؤ، الهند.
- مصطفى لطفى المنفلوطي، سلسلة الأعمال المجهولة، تحقيق و تقديم، الدكتور علي شلش، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، الطبعة الأولى، 1987م.
- مصطفى لطفى المنفلوطي، في سبيل التاج، مكتبة إحسان، لكاناؤ، عام الطبعة لم يذكر.
- مصطفى لطفى المنفلوطي، ماجدولين، مكتبة إحسان، لكاناؤ، عام الطبعة لم يذكر.
- مصطفى لطفى المنفلوطي، الفضيلة أو بول وفر جيني، مكتبة إحسان، لكاناؤ، عام الطبعة لم يذكر.
- الدكتور عمر فروخ، المنهاج الجديد في الأدب العربي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار العلم للميلانيين، بيروت، 1969م.
- النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط: دراسات في النزعة الإنسانية، أنور مغيث، حسين كشك، محرر: عاطف أحمد، مركز القاهرة بدراسات حقوق الإنسان، الطبعة الثانية، عام الطبعة لم يذكر.
- مصطفى لطفى المنفلوطي، التقديم الدكتور طه وادي، الشركة المصرية العامية للنشر- لو نجمان، الطبعة الأولى، مصر، 1999م.
- واضح رشيد الحسني الندوي، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، دار الرشيد لكاناؤ- الهند، الطبعة الثانية 2013م.
- الأمن القومي المصري، الماضي والحاضر والمستقبل منتديات عبد الرحمن يوسف،

الموقع <http://montada.arhaman.net/t4053.html>

- جهاد الفاضل: النزعة الإنسانية، في تراث الإسلامي جريدة الرياض. الموقع:
www.alriyadh.com16/0/90
- مقالة النزعة الإنسانية صيد فؤاد، الموقع:
www.saaid.net/feroq/mthabh/lq.htm
- النزعة الإنسانية الموسوعة العربية، الموقع
www.arab_ency.com.index.ph?
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الإنسانية، الموقع www.arwiki.org/wiki

المحتويات

الرقم	العناوين
1	مقدمة
2	الباب الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية في مصر في القرن العشرين
3	الفصل الأول: الأوضاع السياسية في مصر في القرن العشرين
4	الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية في مصر في القرن العشرين
5	الفصل الثالث: الأدب العربي في عصر المنفلوطي

46	الباب الثاني: مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأعماله	6
47	الفصل الأول: موله ونشأته	7
56	الفصل الثاني: الأعمال الأدبية	8
67	الفصل الثالث: المنفلوطي كما يراه النقاد	9
90	الباب الثالث: النزعة الإنسانية في كتابات المنفلوطي	10
91	الفصل الأول: تطور النزعة الإنسانية في الأدب العربي	11
114	الفصل الثاني: مظاهر النزعة الإنسانية في قصص المنفلوطي	12
152	الفصل الثالث: النزعة الإنسانية في كتاباته	13
181	خاتمة البحث	14
186	المصادر والمراجع	15
190	المحتويات	16

**HUMANISM IN THE WRITINGS OF MUSTAFA LUTFI AL- MANFALOOTI:
AN ANALYTICAL STUDY**

**Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University in partial
fulfilment of the requirements for the awards of the degree of**

Master of philosophy

By

Iqbal Danish

Under the Supervision of

Dr.Md.Qutbuddin



Centre of Arabic & African studies

School of Language, Literature & Culture Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi-110067

2015